جامعة السلطان قابوس
مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية

Sultan Qaboos University
Journal of Arts & Social Sciences

دور اليمنيين في الثورة البربرية ببلاد المغرب في عصر الدولة الأموية «١٢٢-١٣٢هـ/٧٣٩-٧٥٠م»

سعيد ناجي غالب قائد اسكندر

أستاذ مساعد
قسم التاريخ
كلية الآداب- جامعة تعز
saeed.20102010@Hotmail.com

تاريخ الاستلام: ٢٠١٣/٠٢/٠٥
تاريخ القبول للنشر: ٢٠١٣/١٠/٠٨

دور اليمنيين في الثورة البربرية ببلاد المغرب في عصر الدولة الأموية «١٢٢-١٣٢هـ/٧٣٩-٧٥٠م»

سعيد ناجي غالب قائد اسكندر

مستخلص

يهدف هذا البحث إلى إبراز دور اليمنيين في ثورة البربر التي اندلعت بداية العقد الثالث من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وشملت معظم أرجاء بلاد المغرب، وذلك من خلال دراسة الظروف التي أسهمت في انخراط اليمنيين في تلك الثورة، ومن ثم تتبع ورصد أدوارهم فيها، وقد اتضح من خلال المعطيات تباينها وتنوعها بين طرفٍ مؤيدٍ لها، مساهمٍ في قيامها، ومتزعمٍ لقيادة بعض فصولها، وطرفٍ آخر بقي في صف الخلافة الأموية، وبذل جهودا كبيرة لمحاولة إخماد تلك الثورة والقضاء عليها، مستندين في ذلك كله على قراءة متعمقة للنصوص المصدرية التي كانت الأساس في بناء هذا البحث.

الكلمات الدالة: الثورة، اليمنيين، البربر، بلاد المغرب، العصر الأموي

The Role of Yemenis in the Berber Revolution in Morocco during the Umayyad Era «122-132 AH / 739-749 AD»

Saeed Naji Ghalib Qaid Iskander

Abstract

This research aims to highlight the role of Yemenis in the revolution of the Berbers that erupted at the beginning of the third decade of the second century AH / eighth century AD, and involved most of the parts of Morocco. The study examined the conditions that contributed to the involvement of Yemenis in that revolution, and then traced and monitored their roles in it. The study relied, on the whole, on in-depth reading of the sources that made the foundation of this research. The results show that Yemenis took up varied and diverse roles. Some were supporters and contributed effectively to this revolution. While others remained in support of the Umayyad Caliphate, and made great efforts to quell the revolution.

Key Words: Revolution, Yemenis, Berber, Morocco, Umayyad

مقدمة

ارتبط تاريخ ما بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ارتباطا وثيقا بالعنصر اليمني، ذلك أن اليمنيين الذين شاركوا في معظم حملات الفتح العربي؛ لم تنته مهمتهم في فتح تلك البلاد فحسب، بل نجدهم يستقرون ويستوطنون فيها، ليشاركوا أهلها بناء الدولة الإسلامية الجديدة.

إن العلاقات المتشابكة التي ربطت العنصر اليمني بساكنة بلاد المغرب منذ البدايات الأولى لدخول الإسلام إليها في عهد الخلفاء الراشدين؛ قد أخذت في النمو والتطور في مراحل الفتح اللاحقة. غير أن تلك العلاقات سرعان ما ساءت بين البربر والعرب عموما بما فيهم العناصر اليمنية، وعمل بعض خلفاء بني أمية المتأخرين على إذكاء ذلك العداء، وذلك بتعيينهم لولاة عرفوا بجشعهم، وسوء إدارتهم للبلاد المغاربية وساكنتها، فضلا عن عصبيتهم المفرطة ضد العنصر اليمني ومواليه وكل مناصريه من قبائل البربر.

ومجمل تلك الأمور أدت في نهاية المطاف إلى إشعال ثورة بربرية كبرى ضد خلفاء بني أمية وولاتهم في بلاد المغرب؛ بدأ أوارها في بداية العقد الثالث من القرن الثاني الهجري، وتحديدا سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م، لتستمر قرابة نصف قرن من الزمن[1]، شملت معظم بلاد المغرب. وفي هذا البحث سنقتصر في الحديث عن دور اليمنيين في مجريات أحداث الثورة البربرية خلال ما تبقى من سنوات الحكم الأموي لبلاد المغرب، سواء كان ذلك الدور مع الثورة، أم ضدها، أكان ذلك بشكل مباشر بواسطة اليمنية أنفسهم، أم غير مباشر عن طريق مواليهم وحلفائهم من البربر.

وتجدر الإشارة إلى أن هناك بعض الدراسات والأبحاث التي تطرقت إلى موضوع الثورة البربرية في سياق حديثها عن وضع بلاد المغرب بعد الفتوحات الإسلامية، ولعل من أبرزها دراسة (مؤنس، ١٩٤٨، ص.١٤٣-٢٠٦) التي تعد - في تقديرنا- باكورة الأعمال التي تناولت موضوع الثورة البربرية[2]، رغم إغفال صاحبها بعض الأمور المهمة المتعلقة بالثورة[3]، وهي الأمور التي حاولنا مناقشتها وإيضاحها في هذا البحث.

وعلى كلٍ يبقى السؤال المطروح هنا هو إلى أي حدٍ أسهم العنصر اليمني في أحداث تلك الثورة؟ وأين تبرز تجليات تلك المساهمة؟ للإجابة على هذا التساؤل سنحاول مقاربة الموضوع وفقا للمحاور التالية:

- العلاقات اليمنية البربرية قبل قيام الثورة البربرية.
- دور اليمنية في تشكيل الإرهاصات الأولى لثورة البربر.
- المشاركة اليمنية في الثورة البربرية.
- دور اليمنية في محاولات إخماد الثورة.

المحور الأول: العلاقات اليمنية البربرية قبل قيام الثورة البربرية

شهدت بلاد المغرب مع نهاية الفتوحات الإسلامية والمرحلة التي تلتها متغيرات كبيرة حددت طبيعة العلاقة بين البربر واليمنية قبل قيام الثورة البربرية، ارتبطت تلك المتغيرات عموما بسياسة الخلافة المركزية في دمشق تجاه بلاد المغرب وسكانها؛ سواء أكانوامن المحليين «البربر»، أم من اليمنيين الذين ساهموا في فتح تلك البلاد واستقروا فيها، وصاروا مكونا أساسيا في نسيجها الاجتماعي.

ولذا كان لزاما الوقوف أمام تلك الظروف والمعطيات التي حددت طبيعة العلاقة التي نشأت بين البربر واليمنية خلال تلك المرحلة، والتي حتمت على اليمنية ومواليهم التفاعل والمشاركة في الثورة البربرية سواء إيجابا أو سلبا.

سياسة الخلافة الأموية تجاه قادة اليمنية مع نهاية الفتوحات

من المعروف أن فتوحات بلاد المغرب أخذت وقتا طويلا مقارنة بفتوحات بلدان أخرى، وكان آخر الخلفاء الأمويين الذين أشرفوا على تلك الفتوحات هو الخليفة الوليد بن عبد الملك الذي في عهده استكمل فتح بلاد المغرب، وكان للقادة اليمنيين وتحديدا من أسرة آل نصير الدور الكبير في وضع اللمسات الأخيرة لذلك الفتح الذي لم يتوقف عند بلاد المغرب فحسب؛ بل تجاوز الضفة الأخرى ليصل إلى جبال البرتات جنوب فرنسا، ولكن يبقى السؤال المهم كيف تعامل خلفاء دمشق الذين تولوا الحكم بعد الوليد بن عبدالملك مع تلك الانتصارات التي حققها القادة اليمنيين؟

تذكر الروايات التاريخية في هذا الصدد أن موسى بن نصير ما كاد ينهي فتوحاته لبلاد المغرب والضفة الأخرى من بلاد الأندلس؛ حتى جاءته أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك تأمره بالعودة، فنفذ موسى توجيهات الخلافة، ويمم وجهه نحو عاصمتها دمشق، التي وصلها والخليفة الوليد في أيامه الأخيرة (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٥، عنان، ١٩٧٠، ص.١٣٦-١٣٧)، ليتولى الخلافة بعده أخوه سليمان الذي سجل عهده بداية منعطف جديد في العلاقة مع

١- يجب التنويه إلى أن الثورة البربرية قد استمرت بعد تولي العباسيين الحكم خلفا للأمويين؛ وكان لليمنيين دور بارز في صناعة أحداثها، وهذا موضوع آخر يحتاج إلى دراسة مستقلة.

٢- تجدر الإشارة إلى أن هذه الدراسة قد نشرت مرة أخرى في كتاب «فجر الأندلس» وهو للمؤلف نفسه طبعة (٢٠٠٥، ص.١٢٩- ١٧٩). وبالإضافة إلى هذه الدراسة هناك دراسات لبعض الباحثين منهم (عبدالحميد ، ٢٠٠٠، ج١، ص.٢٩٠ وما بعدها)، حيث تطرق للحديث عن الثورات في سياق حديثه عن أخطاء الإدارة الأموية في بلاد المغرب وردة فعل الخوارج، ورغم دقة الباحث وعمقه ولاسيما في المقارنة بين المصادر والبحث عن تفاصيل الأحداث، فإنه لم يشر لأهمية الدور الذي لعبه اليمنيون في مسار تلك الثورة. ومن الدارسين الذين تناولوا الثورة (عبدالرزاق، ١٩٧٩، ص.١٣٣- ١٦٣). ورغم الجهد الذي بذله الباحث في تفسير دوافع الثورة، إلا إنه مال إلى إبراز الصراع الطبقي والدافع الاقتصادي كأساس لقيام تلك الثورة وما تمخض عنها، ولم يهتم كثيرا بالأبعاد الأخرى، ومنها دور اليمنية في تحريك تلك الثورة والتحكم في بعض مساراتها، ومن الباحثين كذلك: (عزاوي ، ٢٠٠٨، ج١، ص.٦٢-٦٨، سالم، ١٩٨٢، ص.٢١٥-٢٤١، بيضون ،«أ» ١٩٧٩، ص.٣٤٩-٣٥٩، «ب»١٩٨٦، ص.١٠٣-١١٤)، كل هؤلاء تطرقوا للثورة البربرية كحدث بارز في تاريخ المغرب الإسلامي، مرجعين دوافعها إلى عوامل اجتماعية وأيدلوجية سببتها الأخطاء التي وقع فيها ولاة بني أمية تجاه السكان البربر في تلك المرحلة، ولم يلتفتوا إلى دور المكون اليمني في بلاد المغرب وتأثيره الفعال سواء في إشعال أحداث تلك الثورة، أو جهود فصيلٍ منهم في محاولة إخمادها.

٣- منها على سبيل المثال عدم تحديده للإرهاصات الأولى للثورة، والتي ترجع بدايتها إلى المراحل النهائية للفتوحات، والمرحلة الانتقالية التي تلتها- أو ما عرف بعصر الولاة- والتي كان العنصر اليمني محورها، إضافة إلى الخلط الذي وقع فيه الباحث سواء في تحديد انتماءات الولاة العرب على بلاد المغرب (قيسية ويمنية)، أو في نسبه بعض قادة الثورة إلى العنصر البربري، وهم حسب المصادر عربا من اليمن، فضلا عن عدم إلمامه الدقيق أحيانا بأصول القبائل العربية التي استقرت في بلاد المغرب خلال تلك المرحلة.

العنصر اليمني، ساد في عمومه طابع التوتر والعداء، ظهر ذلك جليا في تعامله مع موسى بن نصير اللخمي اليمني[1] وأسرته ومناصريه من قبائل البربر في بلاد المغرب، ولعل المرء يتساءل عن الأسباب الكامنة وراء ذلك التوتر في العلاقة بين الجانبين؟

في الحقيقة إن المتتبع للأحداث سيلاحظ أن بوادر ذلك التوتر قد بدأ مع المرحلة النهائية لفتوحات بلاد المغرب التي قادها موسى بن نصير؛ فهذا الرجل منذ أن ولي على تلك البلاد بذل جهدا كبيرا لاستكمال فتحها، وكلل أعماله بفتح بلاد الأندلس أيضاً؛ وكل تلك الأعمال العظيمة لاشك أنها أكسبته شعبية كبيرة على مستوى الدولة الإسلامية عموما، بل إن تلك الإنجازات مكنت موسى بن نصير من إقامة تحالفات مع بعض قبائل البربر؛ التي أصبحت تواليه وتناصره، وهذا الأمر في تقديرنا لم يكن ليقبله خلفاء دمشق (عبد الحميد،٢٠٠٠، ج١، ص.٢٦٠)، الذين لم يكونوا راضين عن تلك الشهرة التي حظي بها الرجل؛ ربما خوفا من نزوعه نحو الاستقلال بتلك المناطق البعيدة نسبيا عن مركز الخلافة[2]، ولذا فالمتمعن لتطورات الأحداث سيجد أن الخلافة الأموية سعت للتخلص من تلك الشخصية بإبعادها عن مركز القرار، وهو ما ترجم عمليا؛ عندما قررت استدعاء موسى إلى المشرق، ليتم التحقيق معه، وإلصاق التهم به، ومن ثم التوجيه بحبسه وفرض غرامات كبيرة عليه[3]، ولم تكتف بذلك بل عملت على تتبع أبنائه وذويه وكل مناصريه من قبائل البربر في بلاد المغرب والأندلس. تذكر الروايات في هذا الشأن، أن سليمان بن عبدالملك كلف محمد بن يزيد- الذي تولى أمر إفريقية وبلاد المغرب خلفا لموسى بن نصير- «بأخذ أهل موسى وولده وكل من تلبس به واستئصال أموالهم وتعذيبهم» (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٧).

لم يتأخر الوالي محمد بن يزيد في تنفيذ أوامر الخليفة سليمان، فبمجرد وصوله افريقية قام بالخطوات التالية:-

أولا: في بلاد المغرب «افريقية» تم القبض على «عبد الله بن موسى بن نصير» وإيداعه السجن، ليبقى فيه فترة من الزمن، ثم يتم قتله بعد ذلك[4].

ثانياً: في الأندلس تم التآمر على واليه «عبد العزيز بن موسى بن نصير»، وفي الأخير تم اغتياله بعد أن ألصقت به بعض التهم[5].

ثالثا: بالنسبة للابن الثالث لموسى بن نصير «عبدالملك» الذي كان أميرا على إقليم طنجة (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٤) ؛ فلا تسعفنا المصادر في معرفة مصيره، ولا يستبعد أن يكون قد تم اعتقاله والتنكيل به- هذا إذا لم يتم التخلص منه- لا سيما إذا علمنا أن سليمان بن عبدالملك كان حريصا على تتبع أبناء موسى والقضاء عليهم[6].

وهكذا فتحت دمشق في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك، الطريق أمام مرحلة جديدة[7]، من الملاحقات والإقصاء التي لم تقتصر على العنصر اليمني فحسب بل شملت كل مناصريه ومؤيديه من قبائل البربر في بلاد المغرب الإسلامي.

٢- تعامل الخلافة الأموية مع حلفاء اليمنية ومناصريهم من البربر

لم تكتف خلافة دمشق بملاحقة قادة اليمنية فحسب، بل سعت إلى تتبع كل مناصريهم ومؤيديهم من قبائل البربر في بلاد المغرب، وقد دشنت هذه المرحلة رسميا مع وصول الخليفة يزيد بن عبدالملك إلى سدة الحكم بداية سنة ١٠١هـ/٧١٩م، إذ عرف عنه تعصبه الشديد ضد اليمنيين (مؤنس، ١٩٤٨، ص.١٤٩)، وقد تأزمت العلاقة بينه وبينهم في بلاد الشام، لدرجة دفعته إلى نقص عطائهم وجعله نصف عطاء القيسية، مما أدى إلى حدوث اضطراب في الشام نفسها.(أبوضيف، ١٩٨٦، ج١، ص.٩٦).

وبالنسبة لوضع بلاد المغرب- الذي يهمنا- فإن الخليفة يزيد عين عليه واليا هو يزيد بن أبي مسلم، الذي نهج نفس السياسة التي مارسها الخليفة ضد اليمنية في الشام، وركز بالخصوص على قبائل البربر الموالية لليمانية ولابن نصير تحديدا[8]، إذ تشير المصادر (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٢، الرقيق،١٩٩٠، ص.٦٤، ابن الأثير، ١٩٧٨، مج٤، ص.١٨٢، ابن عذاري، ١٩٨٣،ج١، ص.٤٨، النويري، ١٩٧٦، ج٢١، ص.٣٩٣) أنه تعمد «أخذ موالي موسى بن نصير من البربر

١- لخم قبيلة يمنية وهي بطن من كهلان القحطانية، ولخم هو مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان. انظر(ابن الديبع ، ١٩٩٢، ص.١٤٤، ١٤٨مع هوامشهما).

٢- يبدو أن تعيين موسى بن نصير لابنه عبدالملك على إقليم طنجة، وابنه عبدالله على أفريقية، وجعل الأندلس تحت سلطان ابنه عبدالعزيز قد أثار حالة الشكوك والريبة لدى الخلافة المركزية في دمشق، وربما فسرته على أنه نوع من النزوع إلى الاستقلال بتلك البلاد. انظر (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٥٤-٥٥، ابن عذاري ، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٤).

٣- ترجع بعض الروايات معاملة سليمان لموسى بتلك الطريقة القاسية بسبب رفض موسى لرغبة سليمان- الذي كان وقتها وليا للعهد- عندما طلب منه التريث في الوصول إلى دمشق أملا في موت أخيه الخليفة الوليد وطمعا في أن يتسلم الغنائم التي عاد بها موسى من بلاد المغرب والأندلس، والبعض يرجع سوء معاملة سليمان لموسى إلى أخطاء ما ارتكبها موسى وبنوه أثناء ولايتهم لبلاد المغرب، ومنها مثلا ما يتعلق في الغنائم وسوء تصرف موسى في توزيعها، أو في شكوى بعض أصحاب موسى من معاملته لهم، كما حدث مع طارق بن زياد، ولا يستبعد أن تكون قبائل من البربر قد شكت من آل موسى، لاسيما إذا ما علمنا أن الرجل كان قد نجح في إقامة تحالفات مهمه مع بعض فصائل أخرى لقبائل البربر تنتمي لفرع البتر، والمعلوم أن الصراع القبلي بين فصيلي البربر- برانس، بتر- كان متوارثا تاريخيا، ولهذا يرجح استياء بعض القبائل البرنسية من إدارة موسى وذويه للبلاد، وهو الأمر الذي استغلته خلافة دمشق لإقصائه وأولاده عن ولاية بلاد المغرب، خوفا من تطلعه إلى الاستقلال بتلك المنطقة الواسعة. انظر (الرقيق، ١٩٩٠ص.٥٦-٥٧، ابن عذاري ، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٥-٤٦، المقري ، ١٩٨٦، ج١، ص.٢٦٧).

٤- يذهب الرقيق، وابن عذاري أنه قتل في فترة حكم الخليفة سليمان، بينما يؤكد ابن عبدالحكم أن مقتله كان في عهد الخليفة يزيد بن عبد الملك. راجع (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٥٩، ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٧، وابن عبد الحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٣).

٥- من ذلك أنه بعد تزوجه بأرملة ملك القوط لذريق، عملت تلك المرأة غلى إقناعه ببعض الممارسات- من ذلك انحناءه أثناء السلام عليها- التي جعلت البعض يعتبرها من أعمال النصارى، ومن التهم التي وجهت له خلعه الطاعة لني أمية وسبه للخليفة سليمان بن عبدالملك بعد وصول الأخبار إليه بسوء معاملته لأبيه. راجع (ابن عذاري، ١٩٨٣،ج١ ص.٤٧، عبد الحميد، ٢٠٠٠،ج١، ص.٢٦٦).

٦- يذكر بعض المؤرخين أن اضطهاد موسى ومقتل بنيه رغم ما بذلوه من الفتح كان «من هفوات سليمان التي لم يزل تنقم عليه». انظر (ابن عذاري ، ١٩٨٣،ج١، ص.٤٧).

٧- تجدر الإشارة إلى أن الخليفة عمر بن عبد العزيز الذي تولى الخلافة بعد سليمان بن عبدالملك، سعى جاهدا للقيام ببعض الإصلاحات، إلا أن فترة حكمه القصيرة- التي لم تزد على عامين ونصف العام تقريباً- لم تكن كافية لإنجاح ذلك المشروع الإصلاحي، ولذا سرعان ما تم القضاء على تلك الجهود بمجرد وصول يزيد بن عبد الملك إلى الخلافة سنة ١٠١هـ/٧١٩م، حيث تم عزل واليه على المغرب إسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر، الذي عرف بالورع والتقوى، وإبداله بشخص يزيد ابن أبي مسلم.

٨- جانب الصواب حسيين مؤنس عندما عد الوالي يزيد بن أبي مسلم من اليمنية؛ والصحيح أنه ينتمي إلى القيسية. راجع (مؤنس، ١٩٤٨، ص.١٦٢).

فوشم أيديهم وجعلهم أخماساً، وأحصى أموالهم وأولادهم، ثم جعلهم حرسه وبطانته»، ومن خلال النص يتبين الأذى الكبير الذي استعمل ضد حلفاء موسى بن نصير من قبائل البربر، بداية من محاولة إذلالهم من خلال وشمهم على أيديهم، ومرورا بحصر أموالهم وأولادهم وجعلها تحت مراقبة الوالي ابن أبي مسلم، وختاما بإقصائهم من المناصب الإدارية في البلاد، وتسخيرهم فقط في خدمته وحراسته، كما يستشف من النص.

وتجدر الإشارة أن حلفاء بن نصير ومواليه من البربر الذين قصد بن أبي مسلم إلى إذلالهم وجعلهم حرساً له ينتمون إلى فئة بربر «البتر»، وهذه الفئة كانت قد حظيت بامتيازات عسكرية خاصة من طرف الولاة العرب السابقين لابن أبي مسلم، إذ أسندت إليها مهمة الحراسة الخاصة للولاة؛ وهو ما أكده صاحب فتوح مصر وبلاد المغرب بقوله: «وكانوا هم حرس الولاة قبله- أي قبل يزيد- البتر خاصة، ليس فيهم من البرانس أحد». (ابن عبد الحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٢)

والجدير ذكره أن الثقة الكبيرة التي منحت لفئة البربر البتر تحديدا من طرف الولاة العرب، بحيث جعلت منهم الجهاز العسكري الخاص المنوط به حراستهم وحمايتهم، لم تكن وليدة الصدفة، بل كان لها امتداد تاريخي يرجع إلى السنوات الأولى للفتح الإسلامي لبلاد المغرب، فابن خلدون يشير في هذا السياق إلى أن قبائل زناتة من بربر البتر قد لعبت دورا مهما في مساعدة العرب الفاتحين منذ أيام عقبة بن نافع الفهري. (ابن خلدون، ١٩٧٩،ج٦، ص.١٠٨) ونظرا لهذا الموقف الإيجابي لفئة البربر البتر المساندة للفاتحين الأوائل، فقد ظلت تلك الفئة تحظى بالتقدير من طرف الولاة العرب؛ حتى جاء الوالي يزيد بن أبي مسلم فسعى إلى الانتقاص من قدرهم عبر وشم أيديهم، وتخميسهم، وجعلهم بمثابة «النصارى»(ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٨) ، حسب تفسير تلك الفئة نفسها لذلك الإجراء.

عموما يتبين مما سبق أن العلاقة بين الدولة الأموية وولاتها على بلاد المغرب وبين العنصر اليمني ومواليه من البربر قد بدأت بالتدهور منذ المرحلة النهائية لفتوحات تلك البلاد، لتبلغ درجة التوتر في العلاقة بين الطرفين أوجها في المراحل اللاحقة «عصر الولاة». ويبقى السؤال المهم إلى أي حد ساهمت تلك العلاقات المتأزمة بين الجانبين في التهيئة لقيام الثورة البربرية فيما بعد؟

المحور الثاني: دور اليمنية في الإرهاصات الأولى لثورة البربر:

لم يكن اليمنيون وحلفاؤهم من البربر ليسكتوا عن الأذى والممارسات التعسفية التي لحقت بهم من طرف الخلافة الأموية وولاتها، ولذا كان لا بد من اتخاذ خطوات فعالة وتشكيل جبهة مجتمعية موحدة تتبنى الرفض والممانعة لتلك السياسات، والمتأمل لتطورات الأحداث في تلك الفترة، يلمس تصاعدا قويا لتلك الجبهة المعارضة كلل بعمل ثوري أدى إلى مقتل والي الخلافة الأموية على بلاد المغرب حينها يزيد بن أبي مسلم، فماذا كان موقف اليمنية من تلك التطورات؟

موقف اليمنية من مقتل والي الخلافة على بلاد المغرب:

أدت ممارسات يزيد بن أبي مسلم المتسمة بالظلم والاستبداد[١]، إلى تذمر كبير واستياء في أوساط المجتمع المغربي (البلاذري،١٩٨٧،ص.٣٢٤،ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٨)، وخاصة بين قبائل البربر التي عمد الوالي إلى وشم أفرادها في أيديهم - كما تحدثنا سابقا- وبالتالي تجمع زعماء تلك القبائل واتفقوا في نهاية الأمر على التخلص منه، وفعلا تم مراقبة تحركاته، حتى سنحت الفرصة المواتية للانقضاض عليه، فتم مهاجمته وقتله نهاية سنة ١٠٢هـ /٧٢٠م، (ابن عذاري، ١٩٨٣، ص.٤٨) لتشكل تلك الحادثة منعطفا خطيرا في العلاقة بين الخلافة الأموية وبلاد المغرب عموما، حيث إنها مثلت الإرهاصات الأولى لثورة كبرى انطلقت بعد عقدين من زمن هذه الحادثة، أثرت نتائجها ليس على مصير ومستقبل بلاد المغرب فحسب، بل على مصير خلافة دمشق برمتها، وعما إذا كان لليمنيين علاقة بتلك الحادثة؛ فإن الوقوف بتأنٍ عند الروايات العربية التي تناولت الموضوع؛ يجعلنا نتأكد من مشاركتهم -بطريقة أو بأخرى - في مسألة اغتيال يزيد بن أبي مسلم، ويمكن أن نستشف الدور اليمني في تلك الحادثة من خلال النقاط الأتية:

أولا: بعد مقتل والي بلاد المغرب سارعت الخلافة الأموية في توجيه الاتهام للعنصر اليمني بالتآمر بتدبير الحادثة، إذ تشير بعض الروايات التاريخية، إلى أن أصابع الإتهام وجهت بصراحة لعبدالله بن موسى بن نصير- الذي كان حينها في السجن منذ أيام الخليفة سليمان بن عبدالملك- وعليه فقد وجه الخليفة يزيد بن عبد الملك الوالي الجديد لبلاد المغرب بتصفية عبدالله بن موسى؛ فتم له ما أراد[٢].

ثانيا: ما يؤكد دور اليمنية في حادثة مقتل الوالي يزيد بن أبي مسلم هو قيام البربر بتكليف والٍ من أصلٍ يمني لإدارة شؤون البلاد خلال الفترة التي سبقت تعيين والٍ رسميٍ من طرف خليفة

١- وصفت بعض المصادر هذا الوالي بأنه «كان ظلوما غشوما». انظر (ابن عذاري، ١٩٨٣،ج١، ص.٤٨).

٢- يذهب ابن عبد الحكم إلى القول إن الناس اتهموا عبد الله بن موسى بقتله وأن الخليفة يزيد أمر بشر بن صفوان الذي ولي أمر المغرب خلفا لابن أبي مسلم بقتله فقتله. غير أن الرقيق وابن عذاري يؤكدان على أن مقتل عبد الله بن موسى كان قد تم بعد سجنه أيام الخليفة سليمان على يد واليه محمد بن يزيد. ونحن في ضوء هذا التضارب في المصادر نرجح أن الرجل بقى مسجونا منذ أيام الخليفة سليمان ولم يقتل، وربما كان تأخر قتله حتى خلافة يزيد- في تقديرنا - هو وصول الخليفة عمر بن عبدالعزيز إلى الحكم وتعيينه واليا على بلاد المغرب هو اسماعيل بن عبيدالله بن أبي المهاجر، وهذا الوالي عرف عنه حسن السيرة في الرعية، وعدم تعصبه ضد العنصر اليمني، وهذا الأمر قد يكون خفف من ملاحقة وتتبع آل نصير واليمنية عموما في بلاد المغرب، وبالتالي ساعد على بقاء عبدالله بن موسى على قيد الحياة، غير أنه لما عزل اسماعيل عن بلاد المغرب بعد موت الخليفة عمر بن عبدالعزيز؛ عادت ملاحقة اليمنيين من جديد، ويظهر أن عبدالله بن موسى في ظل هذه المتغيرات عمل على التواصل مع مناصريه وحلفائه من قبائل البربر، ومن ثم تحريضهم ضد سياسة الوالي الجديد ابن أبي مسلم، لاسيما بعد سعي الأخير إلى وشم أيديهم، وحصر أموالهم وأولادهم، ولذا ما أن قتل هذا الوالي على يد البربر ووصلت الأخبار بمقتله إلى الخليفة يزيد في الشام، وشاع لدى الناس دور عبدالله بن موسى في الحادثة، وشهد البعض صراحة ضده؛ حتى وجه الخليفة واليه الجديد بشر بن صفوان بالتخلص من عبدالله الذي كان حينها ما زال على قيد الحياة في السجن، فتم قتله مباشرة. انظر: (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٣، والرقيق، ١٩٩٠، ص.٥٩، وابن عذاري ، ١٩٨٣، ج١، ص.٤٧).

دمشق، وهذا الوالي هو محمد بن أوس الأنصاري.(ابن عبد الحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٣).

ثالثا: إن اختيار البربر لشخص محمد بن أوس الأنصاري- ذي الأصل اليمني- لإدارة شؤون بلاد المغرب خلفا ليزيد بن أبي مسلم؛ يعد بحد ذاته دليلا على تنسيق واضح بين الطرفين لإدارة المرحلة المقبلة؛ وهو الأمر الذي أزعج خلافة دمشق، وعبر عنه بجلاء موقف الخليفة يزيد الذي امتعض بشدة حين كاتبه البربر بمبايعتهم لمحمد بن أوس الأنصاري[1]، إذ تعززت لديه القناعة بأن اليمنيين هم وراء ذلك الحراك الثوري الذي أودى بحياة واليه على بلاد المغرب.

رابعا: رغم امتعاض الخلافة الأموية من مقتل واليها على بلاد المغرب، وعدم ارتياحها للخطوة التالية التي قام بها البربر والمتمثلة باختيار شخصية من أصل يمني لإدارة شؤون البلاد، إلا أنها سعت للتعامل مع الواقع الجديد بنوع من الدهاء؛ قصد منه تخفيف حدة التوتر، ومحاولة امتصاص غضب اليمنية ومواليهم من البربر بعد تلك الحادثة؛ وظهر ذلك جليا عندما أقدمت على تعيين وال جديد للبلاد من أصل يمني هو بشر بن صفوان الكلبي، وفي تقديرنا أن تلك الخطوة التي قامت بها دمشق عززت الحضور اليمني بطريقة أو بأخرى، في صناعة أحداث تلك المرحلة، التي كانت قد دشنت بالتخلص من والي الخلافة على بلاد المغرب يزيد بن أبي مسلم.

عموما، رغم محاولة خلافة دمشق تهدئة الأمور بعد مقتل يزيد بن أبي مسلم، بتكليفها لبشر بن صفوان الكلبي ذي الأصل اليمني، إلا أن التوجهات العامة للخليفة يزيد كانت تحمل الحقد على العنصر اليمني في بلاد المغرب وتحديدا من آل موسى بن نصير، وهو ما ظهر سريعا، عندما أمر واليه الجديد بالتخلص من عبدالله بن موسى بن نصير بمجرد وصوله إفريقية بداية سنة١٠٣ هـ/٧٢١م، ومن ثم متابعة من تبقى من آل موسى بن نصير واستئصالهم. (ابن عذاري،١٩٨٣،ج١، ص.٤٩)

لكن يظهر أن بشر بن صفوان لم يستمر في تطبيق ذلك النهج المتعصب للخلافة ضد بني جلدته من اليمنيين وحلفائهم من البربر، ويبدو أنه مال إليهم في أواخر حكمه لبلاد المغرب، حتى أنه لما أحس بدنو أجله؛ كلف أميرا من أصل يمني لخلافته؛ وهو العباس بن ناصعة الكلبي (الرقيق،١٩٩٠، ص.٦٩)، وكان هذا الإجراء - تعيين بشر للعباس - قد دشن مرحلة جديدة من الصراع بين خلافة دمشق من جهة، وبين العنصر اليمني والسكان المحليين من البربر من جهة أخرى، كان من أبرز نتائجه انضمام فريق من اليمنية ومواليهم بشكل صريح إلى جانب البربر في إشعال ثورة سنة ١٢٢هـ /٧٣٩م، فكيف تم ذلك؟

معاناة اليمنية والتهيئة للثورة البربرية

يظهر أن السياسة التي انتهجها بشر بن صفوان الكلبي في نهاية حكمه لم يكن ليقبلها حينها خليفة دمشق هشام بن عبدالملك؛ لا سيما وقد عرف عنه الميل بشكل كبير إلى القيسية[2]، ولذا نجده يعزل العباس بن ناصعة الكلبي الذي تركه بشر بن صفوان نائبا له، ويولي رجلا موغلا في العصبية القيسية؛ هو عبيدة بن عبد الرحمن السلمي، الذي مثل عهده مرحلة جديدة من الاضطهاد للقبائل اليمنية وحلفائها من العنصر المحلي في بلاد المغرب[3]، ويمكن عرض أبرز تلك الممارسات التعسفية لهذا الوالي على النحو التالي:

أولا: عزله لكل الأمراء والعمال الذين ولاهم سلفه اليمني «بشر بن صفوان الكلبي»، ولم يكتف بذلك؛ بل ضايقهم وفرض عليهم غرامات مالية، ونكل بالبعض منهم، وهو أكدته الروايات بالقول أنه «أخذ عمال بشر بن صفوان وأغرمهم وتحامل عليهم وعذب بعضهم».(النويري، ١٩٨٣، ج٢٤، ص.٥٧، ابن الآبار، ١٩٦٣، ج١، ص.٦٦) ومن خلال هذه الإشارات يتبين لنا مدى سياسة الإقصاء التي انتهجتها خلافة دمشق وولاتها تجاه اليمنية في بلاد المغرب، والذي أثر بشكل كبير على حياة الناس عامة، فملاحقة العمال وحبسهم وتغريمهم لم يقتصر في تقديرنا على رجال الدولة من اليمنية فقط، بل شمل حلفاءهم ومناصريهم من البربر، وخاصة قبائل زناتة البترية التي كانت تحسب على آل نصير والعرب اليمنية عموما.(مؤنس، ١٩٤٨، ص.١٦٥).

ثانيا: من الأدلة التي تؤكد مدى العسف الذي أصاب اليمنية في بلاد المغرب على يد عبيدة السلمي، ما حدث لأحد زعمائهم ويدعى أبو الخطار بن ضرار الكلبي، والذي عبرت عنه قصيدة شعرية أرسلها هذا الزعيم اليمني إلى الخليفة هشام يشكو فيها ما تعرض له هو وقومه اليمنيين على يد هذا الوالي، ويذكره بفضل اليمنيين على بني أمية منذ قيام دولتهم.(الرقيق، ١٩٩٠، ص.٦٩-٧٠، ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٠-٥١).

١- ورد بعض الروايات استياء الخليفة يزيد من تصرف البربر هذا، فتقول أن البربر لما قتلوا يزيد بن أبي مسلم، وعينوا محمد بن أوس الأنصاري أميرا عليهم، كتبوا بذلك إلى الخليفة يزيد بن عبدالملك، وكان الذي حمل رسالتهم إلى الخليفة رجل من أهل تونس اسمه خالد بن أبي عمران، ويؤكد هذا المبعوث أن الخليفة اجتمع به على انفراد، وأنه كان متضايقا لمبايعة البربر محمد بن أوس الأنصاري واليا عليهم، وتمنى لو أن الناس بايعوا شخصية غير يمنية، وتكون بالتحديد قرشية حسب قوله. راجع (ابن عبدالحكم ، ١٩٩٥، ص.٢٤٣)

٢- يذهب حسين مؤنس إلى القول أن سياسة الخليفة هشام في بداية الأمر كانت تميل إلى الكلبية نوعا ما، حيث حاول أن يخفف من غلواء القيسية وذلك بتعيين عدد من كبار اليمنية الكلبية على الولايات، مثل خالد بن عبد الله القسري وأخيه أسد، كما ترك بشراً بن صفوان في ولايته على المغرب، كل تلك الإجراءات لأن ميوله كانت كلبية يمنية، ولكن بموت بشر كانت ميول الخليفة قد تحولت عن الكلبيين، وعملت على إضعافهم، وبالمقابل أسند كبار المناصب في الدولة إلى القيسية، ومن ذلك تعيينه يوسف بن عمر الثقفي واليا على العراق، ونصر بن سيار على خراسان، وعبيدة بن عبد الرحمن السلمي على إفريقية وكانوا جميعا من غلاة القيسية. انظر(مؤنس، ١٩٤٨، ص.١٥٠).

٣- تذكر الروايات أن عبيدة السلمي عندما قدم إلى إفريقية سنة ١١٠ هـ/٧٢٨م، دخل القيروان فجأة يوم الجمعة، وكان العباس بن ناصعة الكلبي اليمني الأصل الذي تركه بشر بن صفوان قبل وفاته (واليا على القيروان) «قد تهيأ لشهود الجمعة ولبس ثيابه فقيل له هذا عبيدة قد قدم أميرا فقال لا حول ولا قوة إلا بالله هكذا تقوم الساعة بغتة وألقى بنفسه فما حملته رجلاه». ومن خلال هذا النص يظهر أن التوتر كان شديدا في افريقية بين العنصر اليمني والقيسي، والذي يبدو أنه انسحب على بقية مكونات المجتمع وقبائله من البربر التي كان جزء منها محسوب على العنصر اليمني. انظر (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٦٩، أبو ضيف ، ١٩٨٦، ج١، ص.١٠٢).

على كلٍ، استمر عبيدة السلمي يحكم البلاد بتلك السياسة المتعصبة ضد اليمنيين وحلفائهم من البربر؛ حتى جاءت الأوامر من دمشق بإعفائه من منصبه آواخر سنة ١١٤هـ /٧٣٢م، بعد استياءٍ كبير، ومناشدة زعماء اليمنية في بلاد المغرب للخليفة هشام، للتدخل لإنقاذهم من ممارسات هذا الوالي وتعامله القاسي معهم[١].

وفي الوقت الذي كان على الخليفة هشام أن يعيد النظر في سياسته تجاه بلاد المغرب وساكنتها عموما، ويعمل على تعيين شخصية توافقية تسعى لحل المشاكل ورفع المظالم عن الناس؛ وخاصة اليمنية وحلفائهم من البربر، نجده يختار رجلا عرف بتعصبه ليس فقط للقيسية؛ بل للعرب عامة ضد البربر (سالم، ١٩٨٢، ص.٢١٢)، هذا الرجل هو عبيد الله بن الحبحاب الذي وصلت الأمور في عهده حدا لا يطاق من التعسف، لا سيما مع السكان المحليين من البربر، الذين أجبروا في نهاية المطاف إلى إشعال ثورة شملت معظم نواحي بلاد المغرب، انخرط اليمنية وحلفاءهم فيها بشكل أو بآخر، فأين يكمن دور اليمنية في أحداث تلك الثورة؟

المحور الثالث: مشاركة اليمنية في الثورة البربرية

قبل الحديث عن مشاركة اليمنية في الثورة؛ لابد من توضيح ثلاث نقاط مهمة:

أولا: أننا لن نتحدث عن تفاصيل الثورة البربرية ومعاركها التي جرت؛ وإنما سنحاول إبراز دور العنصر اليمني فيها منذ اشتعالها في إقليم طنجة سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م، وما تبع ذلك من انتفاضات شملت معظم أنحاء البلاد المغربية، خلال ما تبقى من مرحلة الحكم الأموي لتلك البلاد[٢].

ثانيا: إن انضمام عنصر اليمنية ومواليهم إلى صف الثورة البربرية عبر مراحلها المختلفة لم يكن كله ناجم عن إيمان بعدالة الثورة، بل تنوعت دوافعه ومراميه بين مؤمن بعدالة القضية، وبين آخر لعبت السياسة وأهوائها دورها في تفاعله معها، وثالثٍ كانت الأيدلوجية المذهبية هي المحرك الرئيس في مشاركته في تلك الثورة.

ثالثا: إن الثورة البربرية التي اندلعت أوائل العقد الثالث من القرن الثاني الهجري لم تكن عفوية ولا وليدة اللحظة، فالمتابع للوضع العام الذي كانت تعيشه بلاد المغرب منذ نهاية الفتوحات وخلال عصر الولاة؛ يلاحظ أنه كان سيئا على كل المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بمعنى آخر إن الظروف الذاتية والموضوعية للثورة ضد الحكم القائم كانت متوفرة، وقد بدأت إرهاصاتها الأولى منذ سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م، كما بينا سلفا.

دور اليمنية في اندلاع ثورة البربر في المغرب الأقصى

سبق القول إن الظروف الذاتية والموضوعية للثورة كانت متوفرة، وكان لا بد من سبب مباشر يكون ذريعة لانتفاضة السكان البربر ضد سياسة الاستبداد والتعسف والظلم التي تمارس ضدهم من طرف حكام وولاة بني أمية، فما هو الدور الذي قام به اليمنية في إشعال فتيل تلك الثورة، وفي تحديد مسارها؟

أ- الحضور اليمني في إشعال الثورة

إن إطلالة سريعة على المصادر العربية التي تناولت الثورة البربرية، توصلنا إلى حقيقة مفادها؛ أن السبب المباشر لإشعال الشرارة الأولى لثورة البربر في إقليم طنجة بالمغرب الأقصى سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م، هي الممارسات السيئة لعمر بن عبد الله المرادي أمير طنجة ضد السكان، حيث تذكر تلك المصادر أن هذا الأمير قد اشتط إلى حد كبير في معاملته لسكان الإقليم في سبيل الحصول على الأموال، وأنه لجأ لتحقيق رغبته تلك إلى التعدي «في الصدقات والعشر وأراد تخميس البربر، وزعم أنهم فيء المسلمين» (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٢، النويري، ١٩٨٣، ج٢٤، ص.٥٩) ، وما يهمنا من هذا النص أن هذا الأمير يعود إلى أصل يمني- وليس كما اعتقد بعض الباحثين أنه قيسي[٣] - وهذا يعني أن العنصر اليمني كان فاعلا أساسيا في قيام تلك الثورة، بغض النظر أن هذا الأمير كان محسوبا مع هذا الطرف أو ذاك، فالمهم أن اندلاع ثورة البربر في إقليم طنجة بالمغرب الأقصى كان دافعها المباشر سلوكيات أمير طنجة عمر بن عبدالله المرادي ذي الأصل اليمني. وهنا قد يتساءل المرء عن مغزى تعيين عبيدالله بن الحبحاب لأمير يمني على إقليم مهم من بلاد المغرب كإقليم طنجة وفي ذلك التوقيت تحديدا؟

في الحقيقة رغم استبعاد خلفاء بني أمية المتأخرين- خاصة الخليفة هشام- للعنصر اليمني من إدارة بلاد المغرب، ورغم أن المسؤول الأول في بلاد المغرب ووالي الخلافة لم يكن من اليمنية خلال تلك المرحلة، لكن ذلك لا يعني القطيعة التامة مع اليمنية، فقد بقيت بعض الأسماء من اليمنية ومواليها تشغل بعض المناصب الإدارية في ظل ولاة بني أمية الذين كان معظمهم من القيسية[٤]، وربما يعود ذلك للخبرة التي كان يتمتع بها اليمنيون في المجال الإداري، ولعل تعيين ابن الحبحاب لعمر المرادي على إقليم طنجة كان يصب في هذا الاتجاه، غير أننا لا نستبعد أن ذلك التعيين للمرادي كان له مغزىً سياسياً أيضاً؛ هدف من خلاله بن الحبحاب- في تقديرنا- تمزيق التحالف الذي نشأ بين اليمنية والبربر لمواجهة مساوئ الخلافة وولاتها في بلاد المغرب، والذي كان من نتائجه

١- استخلف عبيده السلمي بعد مغادرته أفريقية عقبة قدامة التجيبي، وقد استمر عقبة يدير الأمور حتى قدوم عبيدالله بن الحبحاب واليا على بلاد المغرب سنة ١١٦هـ/٧٣٤م.

٢- لمن أراد تفاصيل حروب تلك الثورة يمكنه الرجوع إلى (اسكندر، اكتوبر٢٠٠٩، الباب الثاني).

٣- انظر (مؤنس، ١٩٤٨، ص.١٦٨)، وتجدر الإشارة إلى أن قبيلة مراد يمنية، وهي فرع من قبيلة مذحج، وموطنها اليوم في شرق اليمن وتحديدا في محافظة مأرب. للمزيد يمكن العودة إلى (الشجاع ، ٢٠٠٩، ص. ٧٩).

٤- يظهر ذلك مثلا بعد عودة عبيدالله بن عبدالرحمن السلمي إلى دمشق، حيث نجده يعين نائبا له في إدارة شؤون البلاد من قبيلة تجيب اليمنية وهو عقبة ابن قدامة التجيبي، وفي أيام ابن الحبحاب نجد بعض الأسماء اليمنية، فبالإضاعة إلى أمير طنجة عمر بن عبدالله المرادي، نجد كذلك أن أمير تلمسان كان من موالي اليمنية ويدعى موسى بن أبي خالد، وهناك أسماء يمنية عديدة ظلت تشغل مناصب إدارية في بلاد المغرب؛ سنتطرق إليها في ثنايا هذا البحث؛ بعضها وقف في صف الثورة، والبعض الآخر وقف ضدها، ونفذ سياسة الخلافة الأموية وولاتها على بلاد المغرب. راجع (ابن خياط ، ١٩٨٥، ص.٣٥٤، ابن عبد الحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٦، الرقيق، ١٩٩٠، ص.٦٩-٧٠، ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٠-٥١).

اغتيال يزيد بن أبي مسلم آواخر سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م.

وعموما فأياً كان المغزى من ذلك التعيين لأمير يمني في بلاد طنجة محسوبا على الخلافة الأموية وولاتها، فالمهم أن تصرفات عمر بن عبدالله المرادي اليمني مع السكان كانت السبب المباشر لإشعال ثورة البربر ضد حكام وولاة بني أمية، ولم يشفع له أصله اليمني في تغيير موقف بني جلدته من اليمنية في بلاد المغرب من الخلافة وولاتها، وهو ما ظهر بوضوح أثناء اندلاع الثورة، وهجوم الثوار على طنجة.

ب- مشاركة اليمنية ومواليهم في الثورة بإقليم طنجة

إن المتابع لتركيبة زعماء وقيادة الثورة التي هاجمت طنجة وقتلت أميرها وأسقطت المدينة، يجد العنصر اليمني وموالية من البربر ممثلا بقوة في تلك القيادات، ومن أبرز تلك الشخصيات رجل يدعى عبد الأعلى بن خديج فمن هو هذا الرجل، وما الدور الذي قام به في الثورة؟

- عبد الأعلى بن حديج: هو عبد الأعلى بن حديج أو جريح أو خديج الرومي الإفريقي؛ على اختلافٍ في المصادر (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٢، ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٦، ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٢) ، كان هذا الرجل من موالي موسى بن نصير اليمني (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٢)، وقد لعب دورا رئيسيا في إشعال الثورة في إقليم طنجة، بل تذهب بعض المصادر إلى أنه الذي تولى إسقاط مدينة طنجة، وقتل أميرها عمر بن عبدالله المرادي[١] وليس ميسرة المطغري، كما تشير روايات أخرى. (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٢، النويري،١٩٨٣، ج٢٤، ص.٥٩).

ويخيل إلينا أن السياسة التعسفية التي مارستها خلافة دمشق منذ أيام الخليفة سليمان بن عبدالملك؛ ضد موسى بن نصير ومواليه في بلاد المغرب قد أجبرت العديد منهم- وهو ما يظهر في الصفحات التالية من ثنايا هذا البحث- على التحالف مع أية قوى مناهضة لسلطان الخلافة الأموية، وهذا ما حدث مع عبد الأعلى بن حديج «مولى موسى بن نصير» الذي يستشف من خلال المصادر أن مشاركته في الثورة البربرية ضد ولاة الخلافة في بلاد المغرب قد انطلقت من إيمانه بالمبادئ التي قامت من أجلها تلك الثورة، وعلى رأسها العدالة والمساوة ومحاربة الظلم وعدم حصر سلطة الحكم في أسرة بعينها، تلك المبادئ التي كان عبد الأعلى بن حديج قد اعتنقها وفق الرؤية الأيدلوجية للمذهب الخارجي[٢]، المعارض للحكم الأموي، والتي تجيز تغيير نظام حكمه ولو بحد السيف. (الأشعري، ١٩٨٥، ج١، ص.٢٠٤).

وعلى كلٍ، فالذي يهمنا في هذا المقام هو أن عبد الأعلى وجماعته كانوا من موالي العرب اليمنية، وقد ساهموا بدرجة كبيرة في ذلك الفعل الثوري مساندين إخوانهم البربر في التخلص من ظلم واستبداد ولاة بني أمية، وهو الأمر الذي كان يدركه ويقدره زعماء وقادة البربر من الثوار، الذين سارعوا إلى مكافأة عبدالأعلى على ما قام به من جهود؛ بتعيينه أميرا على مدينة طنجة (ابن عبد الحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٦، ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٢) ، بعد مبايعتهم لميسرة المطغري خليفة للبربر عقب خلعهم طاعة الأمويين[٣].

- سالم أبو يوسف الأزدي: هذا الرجل ينتمي إلى قبيلة الأزد اليمنية[٤]، وقد لمع أسمه في ثورة البربر، بعد مقتل ميسرة المطغري نهاية سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م، إذ يستشف من المصادر أن خلافا ما ظهر بين الثوار حول من يخلفه، وانقسم الثوار إلى فرقتين: «فرقة عليها خالد بن حميد وفرقة عليها سالم أبو يوسف الأزدي» (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٤)، ومن خلال هذه الإشارة يمكن استنباط إسهامات هذا الرجل في الثورة البربرية، وعرضها على النحو التالي:

أولا: أن سالم الأزدي اليمني كان قد شارك في الثورة منذ اندلاعها، وحتى مقتل ميسرة المطغري.

ثانيا: أن هذا الرجل لم يكن شخصا عاديا؛ بل كان من القيادات الثورية الكبرى، بدليل أنه في أثناء الجدل الذي حدث بين الثوار عقب مقتل زعيم الثورة ميسرة المطغري، كان سالم الأزدي على رأس أحد الطرفين المتنازعين.

ثالثا: أنه بعد حسم الخلاف - أواخر سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م- بين الثوار واتفاقهم على تولية خالد بن حميد الزناتي زعيما وخليفة جديدا لميسرة (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٧٤، ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٣)؛ لم يتوان سالم الأزدي على مساندته، والعمل معه سويا لمجابهة ولاة بني أمية، وليس أدل على ذلك من التحامهما جميعا في صف واحد أثناء النزال مع الوالي كلثوم بن عياض القشيري نهاية سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م، والتي كان من نتائجها تحقيق انتصار كبير للثوار البربر؛ ومقتل الوالي كلثوم نفسه في ذلك النزال[٥].

وصفوة القول، أن عنصر اليمنية ومواليه كان ممثلا بقوة منذ اندلاع الثورة البربرية، وأن السبب المباشر الذي فجر الثورة في إقليم طنجة كان وراءه طرف يمني- وإن كان محسوبا على الخلافة - وسيستمر ذلك الحضور في الحروب والمعارك اللاحقة، وهو ما سنبينه في الفقرات التالية.

الحضور اليمني في ثورة البربر في المغرب الأوسط

من المعروف أن ثورة البربر انطلقت في إقليم طنجة بالمغرب الأقصى، لكنها سرعان ما توجهت صوب المغرب الأوسط؛ بغرض الزحف نحو المغرب الأدنى والاستيلاء على افريقية ومركزها القيروان عاصمة بلاد الغرب الإسلامي ومقر والي الخلافة الأموية حينها، وعليه فقد كان المغرب الأوسط وحاضرته تلمسان ميدانا

١- يذكر ابن خياط في هذا الصدد أن عبد الأعلى بن خديج هو الذي هاجم طنجة وقتل واليها الذي يسميه عمرو بن عبد الله العبسي بدل «المرادي». انظر(ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٣).

٢- كان عبد الأعلى قد اعتنق المذهب الخارجي الصفري وتعمق في دراسة أفكاره حتى صار من فقهائه الكبار. انظر(ابن خلدون، ١٩٧٩، ج٦، ص.١١٠).

٣- للمزيد حول مبايعة ميسرة خليفة للبربر يمكن العودة إلى (سعيد اسكندر، مايو ٢٠١١م، العدد الثاني).

٤- الأزد بطن من كهلان وينسبون إلى أزد بن الغوث بن نبت بن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقد هاجرت جموع منهم من اليمن؛ فاستقر بعضهم في عمان- بنو نصر بن الأزد- والبعض الآخر استوطن بلاد الشام، وفريق ثالث نزل في مصر. انظر (ابن الديبع، ١٩٩٢، ص.١٤١-١٤٤ مع هوامشها).

٥- راجع (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٤-٣٥٥) ، وتجدر الإشارة إلى أن تلك المعركة عرفت لدى المصادر التاريخية باسم موقعة «بقدورة» وجرت أحداثها وفق أرجح التقديرات على واد من أودية طنجة. انظر (مؤلف مجهول، [بدون تاريخ طبع]، ص.٣٢، النويري، ١٩٨٣، ج٢٤، ص.٦١).

للعديد من العمليات والمعارك الحربية (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٢) ، التي جرت بين الثوار البربر من ناحية، وبين جيوش والي الخلافة في بلاد المغرب عبيدالله بن الحبحاب من ناحية ثانية، وعموما فنحن لسنا بصدد الحديث عن تفاصيل تلك الحروب والمعارك؛ بقدر إبراز دور اليمنية ومدى مساهمتهم فيها.

والمراقب لتطورات أحداث الثورة البربرية منذ اشتعالها في إقليم طنجة، وامتداها بعد ذلك إلى المغرب الأوسط، يستشف المشاركة الفاعلة للعنصر اليمني ومواليه «بشكل رئيس» إلى جانب إخوانهم من البربر في تلك المواجهات مع الخلافة الأموية وولاتها، فتصرفات والي الأمويين على بلاد المغرب حينها- عبيدالله بن الحبحاب- وتعاطيه مع أحداث الثورة منذ اندلاعها؛ توحي باتهامه لليمانية بأنهم جزء من المشكلة التي حلت به وبالخلافة الأموية عموما في بلاد المغرب، ويمكن استنتاج ذلك من خلال ما يأتي:

أولا: استناد عبيدالله بن الحبحاب على العناصر القيسية دون غيرها في مواجهة الثورة ومحاولة إخمادها والقضاء عليها، ويظهر ذلك باستدعائه لحبيب بن أبي عبيدة- كان في صقلية وقتها- لمجابهة الثورة إثر اشتعالها في إقليم طنجة، كما بدا ذلك واضحاً في اختياره لقيادة الجيش الذي شكله في أفريقية من القيسية- بقيادة خالد بن أبي حبيب القرشي- وبعثه إلى المغرب الأوسط والأقصى لمواجهة الثوار، فضلاً عن استغاثته بعامله على الأندلس عقبة بن الحجاج السلولي المعروف بقيسيته، وعلاقته الخاصة به. (ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٢، أبوضيف، ١٩٨٦، ج١، ص.١٢١) ومجمل هذه التصرفات لابن الحبحاب تؤكد ارتيابه باليمنية وعدم ثقته بهم.

ثانيا: تحميل عبيدالله ابن الحبحاب- بعد فشل جيوشه ذات القيادة القيسية- اليمنية وحلفائهم مسؤولية الهزائم التي تلقتها قواته في مواجهاتها مع الثوار البربر في المغرب الأوسط. ومن أبرز الشخصيات التي ألقي عليها اللوم موسى بن أبي خالد، فمن هو موسى، وما الدور الذي قام به؟

- موسى بن أبي خالد: كان هذا الرجل مولى لمعاوية بن خديج الكندي (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٦) ، اليمني الأصل، وكان موسى حينها أميرا لتلمسان، ولما أصبح المغرب الأوسط؛ ميدانا لكثير من المعارك بين ولاة الخلافة الأموية وثوار البربر(ابن عذاري، ١٩٨٣، ص.٥٢)، كما أوضحنا سابقا؛ تلقت جيوش الخلافة هزائم مريرة - أبرزها هزيمة الأشراف أوائل سنة ١٢٣هـ/٧٤٠م[١] - أرجع ابن الحبحاب وقادته أسباب تلك الإخفاقات إلى العناصر اليمنية ومواليها، ووجه الاتهام بشكل مباشر إلى أمير تلمسان موسى بن أبي خالد، لما كان له من صلة باليمنية[٢]، فأصدر توجيهاته لأحد قادته ويدعى حبيب بن أبي عبيدة بالتوجه إلى تلمسان، والانتقام من أميرها وكل مناصريه من اليمنية وحلفائهم البربر، فقام حبيب بتنفيذ توجيهات سيده، وقبض على موسى بن أبي خالد وعاقبه، ونكل به بطريقة قاسيه، وصلت إلى حد إقدامه على قطع يده ورجله.(ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٦).

وعموما، رغم الإجراءات القمعية التي استعملت بحق موالي اليمنية بالمغرب الأوسط، فإن انضمامهم إلى جانب إخوانهم البربر في تلك الثورة؛ قد أربك والي الخلافة عبيدالله بن الحبحاب وأفشل جهوده في محاولة الحد منها والقضاء عليها، بل إن تطورات تلك الأحداث قد أدت إلى الإطاحة به، عبر ثورة شعبية، أجبرته على مغادرة البلاد والعودة إلى دمشق، نهاية سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م.(الرقيق،١٩٩٠، ص.٧٥، ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٤، النويري،١٩٨٣، ج٢٤، ص.٦٠).

ومن الأسماء الثورية المحسوبة على عنصر اليمنية؛ التي لعبت دورا مهما في حروب المغرب الأوسط ومشارف أفريقية بين ولاة الخلافة وثوار البربر؛ رجل يدعى «عبد الأعلى زرزرا» فمن هو هذا الشخص، وأين تجلى دوره، ومتى؟

- عبد الأعلى زرزرا: أغفلت المصادر الحديث عن دور هذا الرجل في ثورات البربر باستثناء إشارة يتيمة وردت عند ابن خياط؛ يؤكد فيها أن عبد الأعلى زرزرا كان من موالي موسى بن نصير (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٥)، بمعنى أنه من موالي اليمنية ومناصريهم، وقد سطع نجمه خلال المعارك التي خاضها الثوار البربر في عهد خليفة طنجة الثاني خالد بن حميد الزناتي ضد والي الأمويين حنظلة بن صفوان الكلبي، والتي كانت ترمي إلى السيطرة على افريقية وإسقاط القيروان مركز والي الخلافة الأموية.

وتجدر الإشارة إلى أن الفترة التي سبقت قدوم حنظلة بن صفوان كانت قد شهدت معارك متعددة بين ثوار البربر الذين انتفضوا في قابس وبعض نواحي افريقية بزعامة عكاشة بن أيوب الفزاري، وبين أمير القيروان عبدالرحمن الغفاري المعين من طرف الوالي كلثوم بن عياض[٣] - قبل أن يقتل- وكان هدف البربر السيطرة على القيروان، لكن الغفاري تمكن نهاية المطاف من هزيمة عكاشة الفزاري ودحره إلى خارج افريقية باتجاه المغرب الأوسط.

وفي هذه الأثناء قرر خليفة طنجة خالد بن حميد الزناتي إرسال تعزيزات عسكرية بزعامة أحد قادته ويدعى عبدالواحد بن يزيد الهواري لتدعم قوات عكاشة الفزاري وتطوق القيروان مرة أخرى، وقد تمكن الهواري من تحقيق انتصارات كبيرة على الجيوش التابعة لوالي الخلافة الأموية الجديد حنظلة الكلبي، وسيطر على عدة مدن في أفريقية حتى إذا ما ضم تونس؛ اغتر بتلك الانتصارات وادعى الخلافة، وهذا الأمر أزعج خليفة البربر في طنجة ورفض ذلك الإجراء، وفي خضم هذه الأحداث الثورية يظهر دورعبدالأعلى زرزرا «مولى موسى بن نصير». إذ يذكر خليفة بن خياط أن خالد بن حميد الزناتي، وجهه على رأس قوة عسكرية تحركت من مدينة طنجة صوب أفريقية، وأمره أن يعزل عبدالواحد بن يزيد الهواري عن قيادة الجيش، ويتولى هو- أي

١- أطلق عليها الأشراف لسقوط كبار القيادات القرشية فيها. انظر (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٣، الرقيق، ١٩٩٠، ص.٧٥).

٢- هذا الإتهام يذكرنا باتهام الخليفة يزيد بن عبد الملك للعناصر اليمنية ممثلة في عبد الله بن موسى بن نصير باغتيال واليه على بلاد المغرب يزيد بن أبي مسلم.

٣- الجدير ذكره أن الخلافة الأموية بعد عودة الوالي عبيدالله بن الحبحاب إلى دمشق إثر الهزائم التي مني بها كما تحدثنا سالفا، كانت قد عينت كلثوم بن عياض القشيري واليا جديدا على بلاد المغرب ودعمته بالرجال والسلاح، لكن هذا الوالي سرعان ما لاقى حتفه في إحدى المعارك مع الثوار، فوقع اختيار خلافة دمشق على حنظلة بن صفوان الكلبي ليكون رجل تلك المرحلة.

عبدالأعلى- قيادة تلك الفرقة.(ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٥).
ونظراً لصمت المصادر في الحديث عن الدور اللاحق لزرزرا فإنه يصعب علينا معرفة مدى نجاحه في المهمة التي أوكلت إليه من قبل صاحب طنجة، لكن الثابت أن هذا الرجل كغيره من موالي اليمنية- تحديدا موالي موسى بن نصير- قد انضموا إلى صف إخوانهم البربر في الثورة التي اندلعت في المغرب الأوسط وفي افريقية؛ ضد الخلافة الأموية وولاتها على بلاد المغرب، إيمانا منهم بمبادئ الثورة وأهدافها مستلهمين في ذلك أفكار المذهب الخارجي التي تدعو إلى العدل والمساواة بين أفراد المجتمع جميعهم.

دور اليمنية في الثورة البربرية في أفريقية والمغرب الأدنى

لم تكن ثورة البربر التي اندلعت بداية الأمر في المغرب الأقصى أن تقف بالمغرب الأوسط أو في افريقية، بل امتد لهيبها إلى المناطق الشرقية ، أو ما يعرف أحيانا لدى بعض الكتاب بالمغرب الأدنى(الناصري، ٢٠٠١، ج١، ص.٧٧) ، ولم يغب دور العنصر اليمني في أحداث الثورات التي اندلعت في هذه المنطقة من بلاد المغرب، فمن خلال استعراض المصادر العربية يمكن رصد وتتبع جهود شخصيات يمانية ساهمت بشكل رئيسي في إشعال عدة ثورات في المغرب الأدنى وافريقية، ويمكن عرض أبرز تلك الثورات على النحو الآتي:

أ- عروة بن الزبير الصدفي[١]: ينتمي عروة إلى قبيلة الصدف اليمنية الحضرمية[٢]، وقد أعلن هذا الرجل ثورته ضد عبدالرحمن بن حبيب الفهري، الذي كان قد تمكن من الاستيلاء على أفريقية حينها بالقوة، وأصبح واليا لبلاد المغرب بعد إجبار الوالي السابق حنظلة بن صفوان الكلبي على العودة إلى المشرق، وتذكر المصادر أن عروة الصدفي بدأ ثورته في تونس، واستولى عليها، وبعد أن جاءته التعزيزات من مدينة باجة، بدأ يعد نفسه للتوجه إلى القيروان، لكن إلياس أخو عبدالرحمن بن حبيب استطاع بدهائه أن يصل إلى جيش عروة وأن يفرض عليه حربا سريعة تمكن على إثرها من القضاء عليه وإخماد ثورته. (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٩٠، ابن الأثير، ١٩٧٨، مج٤، ص.٢٧٩).

ب- أبوعطاف عمران بن عطاف الأزدي: هذا الرجل ينتمي إلى قبيلة الأزد اليمنية[٣]، وقد تمكن من تجميع بعض القبائل العربية في أفريقية، وزحف بها صوب القيروان للقضاء على عبدالرحمن، وبينما كان بن عطاف ومن معه من الثوار في طريقهم إلى القيروان؛ إذا بفرقة عسكرية بزعامة إلياس أخي عبدالرحمن تهجم عليهم بغتة، وتمزق ذلك الجيش وتقتل القائد بن عطاف نفسه. (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٩٠).

ويظهر أن القضاء بسرعة على الثورات التي تزعمها أبو عطاف الأزدي وقبله عروة بن الزبير الصدفي، مرده إلى أن تلك الثورات لم تكن تفاعلا حقيقيا مع البربر وثورتهم وأهدافهم التي ينشدونها[٤]؛ بقدر ما كانت ذات أبعادٍ سياسية وربما عصبية، فضلا عن مطامع اقتصادية، هيئتها مرحلة الفراغ الذي حدث في أفريقية بعد طرد والي الخلافة حنظلة بن صفوان الكلبي، وتمكن عبدالرحمن بن حبيب من السيطرة عليها وفرض الأمر الواقع.

ج-عبدالله بن مسعود التجيبي[٥]: تزعم هذا الرجل اليمنية وحلفاءهم من قبيلة هوارة البربرية، وأعلنوا الثورة بإقليم طرابلس (أبوضيف، ١٩٨٦، ج١، ص.١٥٠)، ثم قاموا بقتل «بشر بن حنش القيسي» أمير طرابلس- المعين من طرف والي بلاد المغرب حينها عبدالرحمن بن حبيب الفهري- وكان عبدالرحمن قد أرسل هذا الأمير مع جماعة من مشائخ طرابلس لمصالحة الثوار، لكن الثوار قاموا بقتلهم جميعا[٦]، ولما وصلت تلك الأخبار إلى عبدالرحمن، وهو بالقيروان توجه إليهم حتى إذا ما وصل قابس، اضطربت عليه القيروان، فعاد إليها، وكلف أخاً له[٧]، بالقضاء على ثوار طرابلس، وفعلا استطاع أخو عبدالرحمن أن يلقي القبض على زعيم الثورة اليماني عبدالله بن مسعود التجيبي، ليتم قتله (أبوضيف، ١٩٨٦، ج١، ص.١٥٠)، بعدها على يد نصير بن راشد (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، وتصبح طرابلس تحت إمرة أخو عبدالرحمن، لكن الثورة لم تنته، إذ سرعان ما تجمع اليمنية وحلفائهم البربر ليشعلوا ثورة جديدة تزعمتها شخصية يمنية أخرى.

د- عبدالجبار بن قيس المرادي: بعد مقتل عبدالله بن مسعود التجيبي، ثارت اليمنية وحلفاؤهم البربر في طرابلس، الأمر الذي اضطر عبدالرحمن إلى عزل أخيه من ولاية المدينة، وحاول امتصاص غضب اليمنية بتعين أمير على طرابلس من أصل يمني هو حميد بن عبدالله العكي (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، لكن الثوار حاصروا هذا الوالي في بعض قرى طرابلس، وأجبروه على الاستسلام، ثم الخروج بأمان؛ مقابل أن يسلمهم نصير بن راشد، ليتم قتله بعد ذلك على يد عبدالجبار المرادي (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، انتقاما لقتله زعيمهم التجيبي، وواصل المرادي

١- انظر (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٨٨)، ويسميه النويري عروة بن الوليد الصدفي. راجع (النويري ، ١٩٨٣، ج٢٤، ص.٦٥).

٢- للمزيد يمكن العودة إلى: (ابن حزم ، ١٩٧٧، ص.٤٣١، اليعقوبي، ١٩٥٧.ص.٩٦، الحموي ، ٢٠٠٨، مج٣، ص. ١٨٢). وراجع أيضاً (مؤنس، ١٩٤٨، ص.١٨٣) الذي يعتقد -خطأً- نسبة عروة بن الوليد الصدفي إلى قبائل البربر.

٣- انظر (اليعقوبي، ١٩٥٧، ص.٩٦، ابن حزم، ١٩٧٧، ص.٤٣١) وقارن (مؤنس ، ١٩٤٨، ص.١٨٣) الذي جانب الصواب حينما أرجع نسب بن عطاف الأزدي إلى البربر.

٤- رجحنا ذلك على اعتبار أن معظم قادة اليمنيين ومواليهم الذين شاركوا إلى جانب إخوانهم البربر في الثورة ضد ولاة بني أمية في بلاد المغرب تبنوا مبادئ الفكر الخارجي لإسقاط نظام الحكم الجائر، بينما لم نعثر على أية إشارة تفيد باعتناق أو تبني عروة الصدفي وبن عطاف الأزدي لتلك الرؤى في مشروعهم الثوري، وهذا يجعلنا نميل أن ثورتهم ضد بن حبيب تدخل ضمن الصراع السياسي على السلطة في أفريقية، لاسيما بعد ضعف الخلافة الأموية في المشرق خلال هذه الفترة، فضلا على أن زخم الثورة البربرية كان قد تراجع في أفريقية منذ الهزيمة الكبيرة التي تلقتها في القرن والأصنام على يد حنظلة بن صفوان الكلبي آواخر سنة١٢٤هـ/٧٤١م.

٥- نسبة إلى قبيلة تجيب وهي قبيلة يمنية شارك أبنائها في الفتوحات الإسلامية لمصر وبلاد المغرب، واستقرت جماعات منهم في المغرب الأدنى. راجع (اليعقوبي، ١٩٥٧، ص.٩٥- ١٠٠، الحموي ، ٢٠٠٨، مج١، ص.٤٣٣)، وانظر أيضاً (أبو سديرة ، ١٩٨٨، ص.٨٩، الصباري ، ٢٠٠١، ص.٤٧).

٦- انظر (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٩٠، عبدالحميد، ٢٠٠٠، ج١، ص.٣٢٦).

٧- انظر (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢)، وقارن (عبدالحميد، ٢٠٠٠، ج ١، ص.٣٢٤) إذ يرجح أن أخو عبدالرحمن الذي أوكلت إليه تلك المهمة هو «إلياس»، بينما يحتمل (أبو ضيف ، ١٩٨٦، ج١، ص.١٥٠)أن يكون أخوه الأخر المدعو «عبدالوارث».

تقدمه بالثوار وتمكن من السيطرة على مناطق زناتة (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، لتنضم إليه بعد ذلك جموع جديدة من قبائل هوارة، وهو الأمر الذي أزعج عبدالرحمن بن حبيب، وحاول أن يفكك التحالف اليمني البربري، واتخذ في ذلك مسارين، المسار الأول: سعى من خلاله إلى امتصاص غضب اليمنية فولى على طرابلس أميراً من أصل يمني هو يزيد بن صفوان المعافري (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢)، والمسار الثاني تمثل بإرساله إلى قبيلة هوارة رجلا من أبنائها، هو مجاهد بن مسلم الهواري عله يقنعها بالتخلي عن مناصرة القائد اليمني عبدالجبار المرادي، لكن الهواري فشل في مهمته تلك- رغم بقائه شهورا- بل وخرج مطرودا من طرف قبيلته (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، وفي خضم تلك الأحداث كان لا بد لابن حبيب من مواجهة المرادي ومن معه من ثوار البربر عسكريا، لاسيما بعد أن توسعت قاعدتهم الشعبية، وانضمت إليهم قبائل كبرى في المنطقة وعلى رأسها قبيلة هوارة.

ونود الإشارة في هذا الصدد إلى جهود قائد يمني آخر شارك في قيادة تلك الثورات والمعارك إلى جانب عبدالجبار بن قيس المرادي؛ ذلك القائد هو الحارث بن تليد الحضرمي؛ وقد واصل القائدين ثورتهما ضد بن حبيب وولاته في المغرب الأدنى.

هـ- الحارث بن تليد الحضرمي: ترجع أول إشارة تتحدث عن دور الحارث في الثورة البربرية إلى ابن عبد الحكم، الذي يقول إن هذا الرجل قد اشترك مع رفيقه عبدالجبار بن قيس المرادي في الحصار الذي ضربه الثوار على «حميد بن عبدالله العكي» في ضواحي طرابلس وقراها. (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، وقد واصل الحارث جنبا إلى جنب الثورة مع رفيقه عبدالجبار المرادي في مواجهة ولاة ابن حبيب على طرابلس؛ إذ يتبين من روايات صاحب فتوح مصر وبلاد المغرب أن عبدالرحمن وجه قوة عسكرية بزعامة محمد بن مفروق، وكلف واليه الجديد على طرابلس يزيد بن صفوان بالخروج معه للقضاء على ثورة المرداي والحضرمي، وتم اللقاء بين الطرفين، في موضع من هوارة انتهى بهزيمة جيش بن حبيب ومقتل واليه يزيد بن صفوان، وقائد خيله محمد بن مفروق، وفرار مجاهد بن مسلم وتخفيه في نواحي هوارة (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، وحينها قرر عبدالرحمن بن حبيب الخروج بنفسه لمناجزة الثوار، وكان في مقدمة جيشه على ما يبدو أحد أقربائه ويدعى عمرو بن عثمان الفهري، وكان اللقاء في مكان بأرض زناتة، وتمكن الثوار البربر بقيادة عبدالجبار المرادي والحارث بن تليد الحضرمي من هزيمة ذلك الجيش، وتم لهم السيطرة على طرابلس كلها (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، ولم يكتف الثوار بذلك بل تتبعوا الجيش المنهزم بزعامة عمرو بن عثمان حتى مدينة سرت، واستطاعوا تكبيده هزيمة أخرى هناك، ونجا عمرو بنفسه بعد أن جرح، ليدخل الحارث بن تليد مدينة سرت ويستولي على كل الممتلكات العسكرية لجيش عمرو بن عثمان (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢).

وفي قمة تلك الانتصارات التي حققها الثوار البربر بزعامة القائدين اليمانيين[١]، عبدالجبار بن قيس المرادي والحارث بن تليد الحضرمي[٢]؛ تتحدث المصادر عن خلاف بين الرجلين انتهى بمقتلهما الاثنين. (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ونحن لسنا بصدد مناقشة الأسباب التي أدت إلى مقتلهما فهذا ليس موضوعنا، وما يهمنا في نهاية المطاف هو إثبات دور اليمنية ومواليهم في الثورة البربرية في كل مراحلها؛ جنبا إلى جنب مع إخوانهم البربر في كل مناطق بلاد المغرب بداية من إقليم طنجة في المغرب الأقصى وختاما بطرابلس ونواحيها في المغرب الأدنى. لكن يبقى السؤال المطروح هو هل كل اليمنية في بلاد المغرب كانوا مع الثورة البربرية، أم أن هناك فريق منهم وقف في صف خلافة بني أمية وولاتها ضد الثورة؟

المحور الرابع: دور اليمنية في محاولات إخماد الثورة

سبق القول إنه كان للسياسة الإقصائية التي انتهجها خلفاء بني أمية ضد اليمنية منذ نهاية الفتوحات أثرها البالغ في توتر العلاقة بين الطرفين طوال فترة عصر الولاة تقريبا، وبالمقابل أدت تلك السياسة إلى تحديد مسار جديد في علاقة العنصر اليمني بإخوانه البربر، والتي عرفت تطورا نوعيا أثمر تشكيل تحالف بين الطرفين ظهرت إفرازاته الأولى منذ سنة ١٠٢هـ/٧١٨م، ليبلغ ذلك التحالف أوجه في ثورة سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م، التي شارك اليمنية ومواليهم فيها بفعالية إلى جانب إخوانهم البربر.

غير أنه من المهم الإشارة في هذا الصدد إلى أنه على الرغم من توتر العلاقة بين اليمنية والأمويين، ورغم التحالف والتنسيق الظاهر بين البربر واليمنية في مواجهة الخلافة وولاتها؛ فلا يعني ذلك القطيعة التامة بين الخلافة واليمنية في بلاد المغرب، فالمتمعن في المضان لا يعدم وجود خيط ظل يربط بين الطرفين، هذا الخيط مثَّلَه وقوف عناصر يمانية في صف الخلافة وولاتها ضد الثورة البربرية منذ البداية وحتى النهاية، يحكمها في ذلك كما نعتقد إيمانها بشرعية حكم الخلافة الأموية وعدم جواز الخروج عليها من جهة، ومصالحها ومطامعها المشتركة مع الخلافة من جهة أخرى.

ويمكن تصنيف اليمنية الذين وقفوا ضد الثورة وشاركوا في محاولة إخمادها إلى صنفين، الأول مثله أمراء المناطق من اليمنية الذين عملوا تحت إمرة ولاة قيسيين منذ بداية الثورة وخلال مراحلها المختلفة، والثاني تمثل بدور بعض الولاة اليمنيين الذي تم تعيينهم من طرف خلافة دمشق نهاية المطاف بعد تيقنها باستحالة تحقيق نصر على الثوار البربر دون التنسيق والتصالح مع اليمنية.

١- دور أمراء اليمنية في قمع الثورة البربرية

١- جانب الصواب الباحثان حسين مؤنس، ومحمود إسماعيل عبدالرزاق حينما نسبا عبدالجبار بن قيس المرادي، والحارث بن تليد الحضرمي إلى قبيلة هوارة البربرية، بينما مراد قبيلة يمنية معروفة، وهي فرع من قبيلة مذحج التي تقطن شرق اليمن اليوم كما أوضحنا ذلك في المتن ص.١٢، أما قبيلة حضرموت فهي قبيلة عربية يمنية مشهورة وقد بينا ذلك أيضا في الصفحات السابقة في متن هذا البحث. راجع (مؤنس، ١٩٤٨ ، ص.١٨٣، عبدالرزاق ، ١٩٨٥، ص.٨٣).

٢- تجدر الإشارة إلى أن هاذين القائدين ومن قبلهم عبد الله بن مسعود التجيبي، تبنى جميعهم مع زعماء القبائل البربرية المشاركة في الثورة بإقليم طرابلس؛ المذهب الخارجي «الإباضي تحديدا»، والذي تركز بشكل خاص في المناطق الشرقية من بلاد المغرب.

إن المتابع لوضع بلاد المغرب منذ أيام الفتوحات وما بعدها؛ سيجد أن الكتلة اليمنية كانت لاعبا رئيسيا وأساسيا في رسم المشهد السياسي، ورغم أن خلفاء بني أمية المتأخرين قد سعوا إلى إقصاء اليمنية من مراكز القرار في بلاد المغرب، وجعله بيد القيسية، لكن ذلك الإقصاء ركز على الولاية الرئيسية بالخصوص، بمعنى أن هناك من اليمنية ومواليهم من شغل بعض المناصب الإدارية للبلاد في ظل الولاة القيسيين المعينين من خلافة دمشق، ومن ثم فقد عمل هؤلاء الأمراء اليمنيون على تطبيق سياسة الخلافة، والحفاظ على سلطانها وشرعيتها في بلاد المغرب، ولذا ما إن اندلعت ثورة البربر حتى انبرت تلك العناصر اليمنية في قمعها ومحاولة إخمادها، ويمكن عرض بعضا من تلك الأسماء على النحو التالي:

أ- صفوان بن أبي مالك المعافري: هذا الرجل من اليمنية، وينتمي إلى قبيلة المعافر[1]، كان أميرا على طرابلس في عهد الوالي كلثوم بن عياض القشيري، ولما اندلعت ثورة البربر في بعض مدن أفريقية كقابس وغيرها؛ بقيادة عكاشة بن أيوب الفزاري، قام صفوان بن أبي مالك بجهد كبير لمحاولة إخماد تلك الثورة، ويمكن حصر ما قام به صفوان المعافري على النحو التالي:

أولا: إنقاذه لمدينة سرت من السقوط بيد أخي عكاشة بن أيوب الفزاري- لم تذكر المصادر اسمه- الذي كان عكاشة قد أرسله على رأس قوة عسكرية للاستيلاء عليها، وقام أخو عكاشة بضرب الحصار على المدينة، حتى أجبر الناس مع عامل المدينة حبيب بن ميمون، إلى الالتجاء إلى المسجد، وكاد أخو عكاشة أن يسقط المدينة، لولا تدخل أمير طرابلس صفوان بن أبي مالك؛ الذي وصل بقواته إلى مدينة سرت، وتمكن من هزيمته وإجباره على العودة إلى أخيه في قابس؛ بعد أن قتل جماعة كبيرة من قبيلة زناتة التي كانت تناصره.(ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٧).

ثانيا: قيامه بتجهيز الجيوش والتوجه صوب بلاد طنجة- بناءً على أوامر أتته من الوالي كلثوم بن عياض؛ طالبا منه المدد- (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٩) وقد واصل صفوان المعافري زحفه حتى إذا كان بالقرب من مدينة قابس وصلته أخبار نعي كلثوم، فحول قواته لإخماد ثورة عكاشة الفزاري، وفعلا تمكن من طرد عكاشة وقواته عن قابس، وأبعدها حتى أوصلها إلى نهر يقال له «الجمة» على بعد أثنى عشر ميلا من القيروان. (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٤٩).

ب- أبو الخطار بن ضرار الكلبي: رغم معاناة هذا الرجل من العصبية القيسية- كما أوضحنا سلفا- لكن ما إن اندلعت الثورة البربرية؛ حتى نجد أبا الخطار يقف مع الخلافة الأموية وولاتها في محاولتهم إخماد تلك الثورة، والظاهر أنه خاض حروبا شديدة ضد الثوار البربر في افريقية؛ لاسيما عندما حاول الثوار اقتحام القيروان بعد مقتل الوالي كلثوم بن عياض، ويستشف ذلك الدور لأبي الخطار الكلبي من خلال الخلاف الذي دار بين أهالي القيروان، بعد أن كان بعضهم قد عقد البيعة له (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٥)، لمجابهة ذلك المد الثوري، لكن سرعان ما تم إفشال تلك البيعة لمصلحة عبدالرحمن بن عقبة الغفاري الذي كان محل إجماع الناس حسب قول بن خياط.(ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٥).

ج- محمد بن عبيدالله الأزدي: من قبيلة الأزد اليمنية، كان من قيادات جيش كلثوم بن عياض القشيري، وحارب في صفه ضد الثوار البربر، إلى أن لقي حتفه في المعركة التي سقط فيها الوالي كلثوم نفسه (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٥) على واد بالقرب من طنجة.

د- معاوية بن صفوان بن أبي مالك المعافري: خلف معاوية أباه صفوان في ولاية طرابلس، وقد برز دور هذا الرجل في قمع الثورة البربرية في عهد الوالي حنظلة بن صفوان الكلبي، إذ تذكر المصادر أن الوالي حنظلة أرسل إليه يطلب منه المدد بعد اشتداد الحصار عليه في القيروان، فتحرك معاوية حتى إذا كان على مشارف مدينة قابس وصلته الأخبار بهزيمة الثوار في القرن والأصنام، وجاءته أوامر الوالي حنظلة بالتوجه إلى نفزاوة؛ للقضاء على الثورة التي اندلعت في ذلك الإقليم (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥١)، وعلى التو نفذ معاوية بن صفوان توجيهات سيده وتوجه صوب بربر نفزاوة؛ ودخل معهم في حروب متعددة، تمكن على إثرها من هزيمتهم وتبديد شملهم، لكنه دفع حياته ثمنا في تلك المواجهات معهم. (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥١).

هـ- زيد بن عمرو الكلبي: هذا الرجل عينه الوالي حنظلة بن صفوان الكلبي، بعد مقتل والي طرابلس معاوية بن صفوان بن أبي مالك، وقد قام زيد الكلبي بتجميع قوى الجيش الذي كان يحارب الثوار في نفزاوة، وانسحب بهم عائدا إلى طرابلس (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥١) ، ولا تتحدث المصادر عن حروبٍ ما خاضها هذا الأمير مع الثوار البربر في طرابلس أو غيرها بعد ذلك.

و- يزيد بن صفوان المعافري: عين يزيد أميرا على طرابلس أثناء ولاية عبدالرحمن بن حبيب لبلاد المغرب، في عهد أخر خليفة أموي وهو مروان بن محمد. وقد خاض يزيد المعافري حروبا متعددة لقمع ثوار المغرب الأدنى وتحديدا في مدينة طرابلس، إلى أن لقي حتفه في إحدى المواجهات بمكان من أرض هوارة (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥١) ، على يد قائدي ثورة البربر حينها في إقليم طرابلس؛ اليمنيين عبدالجبار بن قيس المرادي، والحارث بن تليد الحضرمي.

ز- حميد بن عبدالله العكي: ينتمي هذا الرجل إلى قبيلة عك اليمنية، وليس قيسيا كما ذهب بعض الدارسين[2]، وقد عين العكي أميرا على طرابلس من طرف عبدالرحمن بن حبيب عقب الثورة التي أشعلها اليمنية ومن معهم من البربر بعد مقتل زعيم الثورة الأول بطرابلس عبدالله بن مسعود التجيبي، ورغم محاولة

١- تقع المعافر اليوم ضمن مناطق محافظة تعز جنوبي اليمن، وتنسب هذه القبيلة إلى معافر بن يعفر بن مالك بن الحارث بن مرة بن أدد بن هميسع بن عمرو بن يشجب بن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، وينسب إليها الثياب المعافرية. انظر(الحموي، ٢٠٠٨، مج٤، ص.٢٨٥-٢٨٦).

٢- جانب الصواب مصطفى أبو ضيف(أبوضيف ، ١٩٨٦، ج١، ص.١٥٠) حينما ذهب إلى هذا الوالي ينتمي إلى القيسية، والحقيقة أن قبيلة عك إحدى قبائل تهامة اليمنية. للمزيد حول هذه القبيلة يمكن العودة إلى (الحموي، ٢٠٠٨، مج٣، ص.٣٤٣، الشجاع، ٢٠٠٩، ص.٣٥، ٤٧).

حميد العكي إخماد تلك الثورة، إلا أن الثوار كانوا له بالمرصاد، وتم محاصرته في ضواحي طرابلس (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢) ، ثم جرت مفاوضات بين الجانبين؛ تم بموجبها استسلام قوات حميد، وتأمين خروجه؛ مقابل تسليمه قاتل زعيمهم عبدالله بن مسعود التجيبي للقصاص منه (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٢).

خلاصة الأمر يتضح مما سبق أن هناك مجموعة من زعماء وأمراء اليمنية في بلاد المغرب وقفوا في صف الخلافة الأموية وولاتها في محاولة قمع الثورة البربرية وإخمادها منذ اندلاعها، وحتى نهاية الخلافة الأموية وسقوطها سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م.

٢- دور الولاة اليمنيين في إخماد الثورة البربرية

يبدو أن الخلافة الأموية شعرت بعد مضي الزمن أنها أخطأت في تعاملها مع اليمنية، وهذا الشعور لدى الخلافة لا شك أنه تولد بعد أن تكبدت جيوشها العديد من الهزائم في بلاد المغرب على يد الثوار البربر، وأيقنت أنه من الصعب تحقيق أي تقدم أو نصر على الثوار البربر طالما واليمنية في صفهم أو معظمهم، ولهذا كان لا بد من إعادة النظر في التعاطي مع الوضع في بلاد المغرب أخذا بالاعتبار التوافق مع العرب اليمنية وضرورة التنسيق معهم لمواجهة الثورة التي وصل مداها حينها إلى أفريقية وطرابلس، وربما طمحت بالوصول إلى المشرق إن تهيأت لها الظروف، فهل نجحت خلافة دمشق عبر اليمنية في إيقاف زخم الثورة؟

أ- إسناد ولاية بلاد المغرب لليمنية

بعد اتساع مجال الثورة التي هددت القيروان نفسها، وبعد الهزائم المتوالية التي مني بها جيش الخلافة وكان آخرها موقعة بقدورة التي راح ضحيتها الوالي كلثوم بن عياض القشيري، عقد الخليفة هشام مجلسا مع كبار مستشاريه لتدارس أسباب هزائم جيوشه في بلاد المغرب، ومناقشة كيفية التعامل مع تلك التطورات، وقد خلص المجتمعون إلى نتيجة مفادها بأن تحيز الخلافة للكتلة القيسية دون اليمنية كان من العوامل الرئيسية التي أدت إلى تلك النكسات. تذكر بعض الروايات في هذا الصدد أن الخليفة هشام: «شاور العباس بن الوليد وكان أحله في الشورى محل أخيه مسلمة... فقال له: يا أمير المؤمنين، ليس يصلح آخر هذا الأمر، إلا بما صلح به أوله، فاصرف نظرك، وحسن رأيك إلى هذه القحطانية(أي اليمنية) فقبل منه». (ابن القوطية، ١٩٨٩، مج٢، ص.٤٢-٤٣).

إذن يتضح من خلال النص نقطتان مهمتان، الأولى: الإقصاء الكبير الذي تعرض له اليمنية خلال حكم هشام ومن سبقه من الخلفاء، الثانية: أهمية دور اليمنية الفعال والمساند لإخوانهم البربر في أحداث تلك الثورات؛ والذي ألحق العديد من الهزائم في جيوش الخلافة الأموية في بلاد المغرب، وهو ما فطنت إليه دمشق نهاية المطاف، وجعلها تعيد النظر في تعاملها مع عنصر اليمنية، وأنه من الضروري كسب ثقتهم وإعادتهم إلى الصدارة في تولي زمام الأمور حتى يستقر الوضع في البلاد.

وقد عمل الخليفة هشام بن عبدالملك بوصية مستشاريه، فأصدر مرسوما سنة ١٢٤هـ[١]/٧٤١م، بتعيين وال جديد لبلاد المغرب من أصل يمني[٢]؛ هو حنظلة بن صفوان الكلبي الذي شكلت ولايته مفصلا تاريخيا مهما في الصراع الدائر بين الثوار البربر وجيوش الخلافة الأموية، وإن اقتصر تموضع ذلك على مسرح العمليات في افريقية فحسب.

ب- بداية انحسار الثورة البربرية

تكمن أهمية دور القائد حنظلة الكلبي في براعة الإستراتيجية التي انتهجها في مواجهة الثوار، والتي اقتضت وضع خطط متعددة، والتحرك في أكثر من محور، ونحن هنا لسنا بصدد الحديث عن تفاصيل تلك الأحداث والمعارك[٣]؛ بقدر ما سنحاول الإشارة إلى أبرزها- بما يخدم موضوعنا- والتي يمكن عرضها على النحو الأتي:-

أولا: بالنسبة للثوار في المغرب الأقصى؛ فقد اعتمد حنظلة معهم طريقة الحوار والنصح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مستندا في ذلك على علماء القيروان الذين كانوا الوسيط بينه وبينهم[٤]، وهذه الخطة كانت مناورة ذكية تعمل- على الأقل- على التحجيم من اندفاعهم وتحركاتهم في دعم إخوانهم الثوار في أفريقية.

ثانيا: بالنسبة لثوار المغرب الأدنى والأوسط، ونظرا لقربهم من مركز الولاية «القيروان» وطموحهم في السيطرة عليها، فقد قرر الوالي حنظلة الكلبي منازلتهم عسكريا، مع العمل أيضا على محاولة استمالة طرف من الأطراف إن أمكن ذلك. والمهم فقد بدأ حنظلة معركته ضد الثوار، ومن أهم التحركات العسكرية التي قام بها:-

أ- إرساله جيشا بقيادة عبد الرحمن بن عقبة الغفاري لمواجهة عكاشة بن أيوب الفزاري الذي كان قد استعاد تجهيز قواته بعد هزيمته بالقرب من قابس، - كما أسلفنا الحديث- وقد تمكن عبدالرحمن الغفاري من هزيمة الفزاري مرتين (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٠) ، ومن ثم أجبره على الانسحاب، صوب المغرب الأقصى، والاستعانة بخليفة طنجة حينها خالد بن حميد الزناتي.

ب- إعلانه الاستنفار التام والاستعداد الكامل[٥]؛ لمواجهة تحالف قوى الثورة البربرية الذي حاصر القيروان، والمكون من الجيش الذي أرسله خليفة طنجة خالد بن حميد الزناتي بقيادة عبد الواحد بن يزيد الهواري(ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٥، ابن عبدالحكم،١٩٩٥، ص.٢٥٠) ، وجيش عكاشة بن أيوب الفزاري الذي انضم للقوة القادمة من طنجة، ونجاحه- أي حنظلة- في ملاقاة كل منهما على انفراد (الرقيق،١٩٩٠، ص.٨٠، النويري،١٩٨٣،ج٢٤، ص.٦٢)، وتمكنه بعد معارك طاحنة أواخر سنة ١٢٤هـ/٧٤١م، من كسر راية الثوار

١- انظر(الرقيق، ١٩٩٠، ص.٧٩) وقارن (المؤلف المجهول، بدون طبع، ص.٣٦)، الذي يقول أنه وصل سنة ١٢٣هـ.

٢- لم يكن حسين مؤنس دقيقا عندما ذهب إلى قيسية حنظلة الكلبي، والمعروف لدينا- كما تؤكد المصادر العربية- أن قبيلة كلب يمنية، وليست قيسية. راجع (مؤنس، ١٩٤٨، ص.١٧٩).

٣- للمزيد انظر (الرقيق،١٩٩٠، ص.٨٠-٨٤).

٤- لمعرفة مضمون الرسائل التي تمت بين حنظلة وثوار المغرب الأقصى بواسطة فقهاء افريقية. يراجع (المالكي، ١٩٩٤، ج١، ص.١٠٣).

٥- حول تلك الاستعدادات يمكن العودة إلى:(الرقيق، ١٩٩٠، ص.٨٣-٨٤، ابن عذاري، ١٩٨٣، ج١، ص.٥٨، والنويري، ١٩٨٣، ج٢٤، ص.٦٣).

في موقعتي القرن[1]، والأصنام[2]، وقتل قائدي الثورة عبدالواحد بن يزيد الهواري[3]، وعكاشة بن أيوب الفزاري (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥١، ابن عذاري، ١٩٨٣،ج١، ص.٥٨- ٥٩)، ومن ثم إخماد الثورة في أفريقية، وضمان بقائها تحت سلطان بني أمية في ما تبقى من سني حكمهم.

وخلاصة القول لقد نجح حنظلة بن صفوان الكلبي ذي الأصل اليمني من إنزال ضربة قاصمة بالثورة البربرية في أفريقية- في موقعتي القرن ولأصنام- ولأول مرة منذ اندلاع الثورة سنة ١٢٢هـ/ ٧٣٩م، وأعاد الهيبة للخلافة الأموية وسلطانها على بلاد المغرب، بعد أن كادت تفقده تماما.

وهكذا كما كان للعنصر اليمني دورا بارزا في إشعال الثورة البربرية ضد ولاة بني أمية، كان لفريق آخر منهم الدور ذاته في محاولات إخماد وكسر تلك الثورة، وإعادة الاعتبار لخلافة دمشق، التي لم تعمر بعد هذا النصر وقتا طويلا.

خلاصة البحث

نخلص من كل ما سبق من محاور هذا البحث إلى أن العنصر اليمني كان مشاركا أساسيا وفاعلا في الثورة البربرية في كل مراحلها، وعلى امتداد البلاد المغربية من طنجة في المغرب الأقصى وحتى طرابلس في أقاصي المغرب الأدنى، حيث كان لطبيعة العلاقات المتأزمة بين عنصر اليمنية ومواليهم من البربر وبين خلفاء بني أمية منذ نهاية مرحلة الفتوحات وما بعدها؛ أثره الواضح في تحديد موقف اليمنية من ممارسات الخلافة وولاتها تجاه بلاد المغرب وساكنتها، والذي ترجم بتحالف يمني بربري، كانت أولى نتائجه اغتيال والي الخلافة على بلاد المغرب سنة ١٠٢هـ/٧٢٠م، فضلا عن أنه هيأ للثورة البربرية الكبرى التي اندلعت سنة ١٢٢هـ/٧٣٩م، والتي شارك اليمنية فيها بفاعلية، وتنوعت فيها مهامهم وأدوارهم، وتوزعت بين جندٍ محاربين، وولاة إداريين، وقادة عسكريين، بعضهم إلى جانب الثورة والثوار، والأخر في صف الخلافة وولاتها.

وقد أثبتت تطورات أحداث الثورة البربرية أهمية وفاعلية العنصر اليمني، الذي صب في الغالب الآعم في مصلحة الثوار، ما جعل الخلافة الأموية تعيد النظر في علاقاتها باليمنية في بلاد المغرب، وتسند الأمر إليهم نهاية المطاف لمواجهة تلك الثورة، وهو ما حقق لها أول نصر فعلي على الثوار آواخر سنة ١٢٤هـ/٧٤١م، حفظ لها هيبتها في ما تبقى لها من عمرها الزمني الذي لم يطل كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر

١. ابن الآبار ، أبو محمد بن عبد الله ١٩٦٣ «الحلة السيراء» ج١، تحقيق حسين مؤنس، دار الكتاب العربي، ط١، القاهرة.
٢. ابن الأثير، علي بن محمد ١٩٧٨ «الكامل في التاريخ» مج[4] ، دار الفكر، بيروت.
٣. الأشعري ، علي بن إسماعيل ١٩٨٥ «مقالات الإسلاميين واختلاف المصليين» ج١، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.
٤. البلاذري، أحمد بن يحيى ١٩٨٧ «فتوح البلدان»، تحقيق عبد الله أنيس الطباع، مؤسسة المعارف، بيروت.
٥. ابن حزم ، علي بن احمد ١٩٧٧ «جمهرة أنساب العرب» تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، مصر.
٦. الحموي ، ياقوت ٢٠٠٨ «معجم البلدان» مج١، مج٣، مج٤ ، تقديم محمد عبدالرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، لبنان.
٧. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد ١٩٧٩ «العبر وديوان المبتدأ والخبر» ج٦، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت.
٨. خياط، خليفة ١٩٨٥ «تاريخ خليفة بن خياط» تحقيق أكرم ضياء العمري، دار طيبة، ط٣، الرياض.
٩. ابن الديبع ، عبدالرحمن بن علي ١٩٩٢ «نشر المحاسن اليمنية في خصائص اليمن ونسب القحطانية» تحقيق أحمد راتب حموش، دار الفكر، ط١، دمشق.
١٠. الرقيق ، إبراهيم بن القاسم ١٩٩٠ «تاريخ أفريقية والمغرب»، تحقيق عبد الله علي الزيدان، عز الدين عمر موسى، دار الغرب الإسلامي ، ط١، بيروت.
١١. ابن عبد الحكم ، عبد الرحمن بن عبد الله ١٩٩٥ «فتوح مصر والمغرب»، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
١٢. ابن عذاري ، أبي العباس أحمد ١٩٨٣ " البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب "، ج١، تحقيق ج.س.كولان وليفي برفنسال، الدار العربية للكتاب، ط٣، بيروت.
١٣. ابن القوطية ، محمد بن عمر بن ١٩٨٩ «تاريخ افتتاح الأندلس» مج٢، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب المصري، ط٢، القاهرة.
١٤. المالكي، أبو بكر عبد الله بن محمد ١٩٩٤ «رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية»، ج١، تحقيق بشير الكبوس، مراجعة محمد العروسي المطوي، دار الغرب الإسلامي، ط٢، بيروت.
١٥. مجهول، مؤلف مجهول (بدون تاريخ) «أخبار مجموعة في فتح الأندلس»، دار أسامة، دمشق.
١٦. المقري، أحمد بن محمد ١٩٨٦ «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب»، ج١، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر، ط١ ، بيروت.
١٧. الناصري ، أحمد بن خالد السلاوي ٢٠٠١ «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى»، ج١، تحقيق أحمد الناصري، منشورات

١- تبعد القرن عن القيروان ستة أميال. راجع (ابن عبد الحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥١).

٢- انظر (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٨٢). وتبعد الأصنام عن القيروان مرحلة- المرحلة مسافة يوم على الإبل- حسب قول ابن عبدالحكم. راجع (ابن عبدالحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥٠).

٣- انظر (ابن خياط، ١٩٨٥، ص.٣٥٥، ابن عبد الحكم، ١٩٩٥، ص.٢٥١). ويصف أحد المؤرخين ابتهاج حنظلة بذلك النصر لدرجة أنه لما جيء إليه بر أس عبد الواحد لم يتمالك نفسه من الفرح «فخر لله ساجدا». انظر (الرقيق، ١٩٩٠، ص.٨٥).

وزارة الثقافة، المغرب.
١٨. النويري، أحمد بن عبد الوهاب ١٩٧٦ «نهاية الإرب في فنون الأدب»، ج٢١، تحقيق على محمد البجاوي، وزارة الثقافة، القاهرة.
١٩. النويري، أحمد بن عبد الوهاب ١٩٨٣ «نهاية الإرب في فنون الأدب» ج٢٤، تحقيق حسين نصار، مراجعة عبد العزيز الأهوائي، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٨٣.
٢٠. اليعقوبي، أحمد بن يعقوب١٩٥٧ «البلدان» المطبعة الحيدرية، ط٣، النجف.

ثانياً :المراجع
١. بيضون، إبراهيم ١٩٧٩م «ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري»، دار النهضة العربية، بيروت.
٢. بيضون، إبراهيم ١٩٨٦ «الدولة العربية في أسبانيا»، دار النهضة العربية، ط٣، بيروت.
٣. سالم، السيد ١٩٨٢ «تاريخ المغرب في العصر الإسلامي»، مؤسسة شباب الجامعة، ط٢، الاسكندرية،
٤. أبو سديرة ، السيد ١٩٨٨ «القبائل اليمنية في مصر»، مكتبة الشعب، القاهرة.
٥. الشجاع ، عبد الرحمن ٢٠٠٩ «تاريخ اليمن في الإسلام في القرون الأربعة الهجرية الأولى»، مكتبة خالد بن الوليد، ط ٧، صنعاء.
٦. أبو ضيف ، مصطفى ١٩٨٦ «أثر القبائل العربية في الحياة المغربية» ج١، دار النشر المغربية، ط١، الدار البيضاء.
٧. عبد الحميد ، سعد ٢٠٠٠ «تاريخ المغرب العربي»، ج١، دار المعارف، الاسكندرية.
٨. عبد الرزاق، محمود ، ١٩٨٥ «الخوارج في بلاد المغرب»، دار الثقافة ط٢، الدار البيضاء.
٩. عزاوي ، أحمد ٢٠٠٨ «مختصر الغرب الإسلامي»، ج١، مطبعة ربا نت، ط٢، الرباط.
١٠. عنان ، محمد ١٩٧٠ «تراجم إسلامية شرقية وأندلسية» مكتبة الخانجي، ط٢، القاهرة.
١١. مؤنس، حسين ٢٠٠٥ «فجر الأندلس» دار الرشاد، ط٣، القاهرة.

ثالثاً : دراسات ضمن الكتب المحررة
١. عبد الرزاق، محمود ١٩٧٩ المؤتمر الأول لتاريخ المغرب العربي وحضارته، ج١، ص١٣٣- ١٦٣«التفسير الاجتماعي لثورة المغاربة في القرن الثاني الهجري»، المطبعة العصرية، تونس.

رابعاً : الدوريات
١. اسكندر، سعيد، مايو ٢٠١١ «إمارة طنجة: أول محاولة لنشأة خلافة خارجية مستقلة»، مجلة كلية الآداب، جامعة تعز، العدد الثاني، ص ٢١٣ - ٢١٨.
٢. مؤنس، حسين، مايو ١٩٤٨ «ثورات البربر في افريقية والأندلس»، مجلة كلية الآداب، جامعة القاهرة، المجلد العاشر، ج١، ص١٤٣- ٢٠٦.

خامساً : الرسائل غير المنشورة
١. اسكندر، سعيد ٢٠٠٩ «حركة الخوارج الصفرية في بلاد المغرب الإسلامي ما بين القرنين ٢-٤هـ/ ٨-١٠م»، رسالة دكتوراه، جامعة بن طفيل ، المملكة المغربية.
٢. الصباري، عبدالسلام ٢٠٠١ «الصلات الاجتماعية والاقتصادية بين اليمن والغرب الإسلامي من الفتح حتى منصف القرن٥هـ/١١م»، رسالة ماجستير، جامعة مولاي إسماعيل ، المملكة المغربية.